
عبد الرحمن حجاج
السكان الأصليين للقلب
رواية
t.me/twinkling4

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب



إهداء



إلى سكان قلبي الأصليين..

عيلتي وأصحابي..

اللي مشيوا.. واللي هيكملوا

ولكل شخص بين إيديه الرواية دي:

بحبكم قد ما القلب بيعرف يحب..



إهداء ثاني



إلى الأشباح التي تطاردنا بلا هوادة

أشباح الخوف، الندم والحنين:

فلترحلوا مع نهاية تلك الرواية.

وإلى كل من سكن قلبي ولم يحسن سكنه:

أثرك بالقلب ينتهي مع الصفحة الأخيرة من الرواية.



الإسكندرية – ١٩٠٩..



وقف ألكسندر، الشاب اليوناني النحيل، والذي قد وصل إلى مصر صباح هذا اليوم، يستنشق نسمات هواء هبَّت له خصيصًا من البحر، بقميصه الحريري الأبيض في شرفة شقته التي ابتاعها للتو بحي كوكينا المطلة مباشرةً على كورنيش الإسكندرية البديع في هوائه وتفاصيله، بينما كانت أذنه معلقة مع صوت (سيد درويش) ينبعث من راديو استقر في مقهى صغير أسفل المنزل، كان الهواء يحمل له مستقبلًا تمنَّاه طويلًا وحلم به كثيرًا، كان قد رسم كل شيء وخطط لكل التفاصيل قبل أن يستقل الباخرة الآتية من ميناء بيرايوس اليوناني.

ابتسم في سعادة وهو يراقب المارة أسفل منزله الهادئ بملابسهم المهندمة ووجوههم المبتسمة يترجلون أمام الكورنيش في اغتباط وراحة ظهرت جلية على ملامحهم، فتح أزرار قميصه ليتخلل الهواء جسده



النحيل، فشعر بانتشاء منعش لم يقطع رونقه سوى صوت زوجته (ليدا) التي صاحت غاضبة بلغتها اليونانية وصوتها الحاد:

- اقفل قميصك ألكسندر!

ضحك ألكسندر بعدها، ثم اقترب خطوة منها ليجذبها بين ذراعيه في حِضنٍ دافئ، ثم قال بلهجةٍ مصرية ركيكة كان قد اكتسبها من رحلاته العديدة إلى مصر في الأعوام السابقة وهو يطبع قبلةً على رأسها وهي ما زالت بين أحضانه:

- حاسس بخير كتير في اسكندرية يا ليدا.

- مش قادرة أفهم ليه الفندق ده ما يكونش عندنا في اليونان؟ وبعدين خلاص لحقت تبقى بتتكلم مصري؟

نظر إلى داخل الشقة حيث موضع نوم طفله الرضيع، وقال لها مبتسمًا في استبشار وهو يشير إلى الكورنيش:

- اسكندرية مدينة الأحلام ليدا، الفندق دا هيكون أهم فندق في مصر، هنا مستقبلنا ومستقبل لوقا.

ربَّت على كتفيها ثم قبَّلها مرةً أخرى وهو يعدل من هيئة قميصه، وطبع قبلةً على جبين طفله الرضيع، ثم خرج من المنزل وهو يأمل أن يسير كل شيء كيفما يريد، متجهًا إلى الأرض التي اتفق على شرائها منذ عدة أشهر وهو



مفعم بالحماس والسعادة. وبعد عدة دقائق وصل إلى المكان المنشود، حيث كان في انتظاره (عزيز) سمسار الأراضي، والذي استقبله بحرارة وترحاب شديد.

- سعيدة يا خواجة إسكندر.. اسكندرية نورت والله!

- سعيدة مبارك عزيز أفندي. الأرض جميلة ومكانها أجمل!

- أنا منقي لك حاجة فوق النمرة واحد يا خواجة، ها.. عفارم عليا؟

- عفارم عليك طبعًا. المهم، أنا عايز أبدأ البناء من غير أي تأجيل.

- طالما الأوبيج جاهز يبقي أنا كمان جاهز.

أخرَجَ ألكسندر من حقيبته بعض الأوراق المالية ووضعها أمام أعين عزيز الذي تهللت أساريره لرؤية المال، فقال:

- كدا ١٠٠ فل يا خواجة. ألا صحيح، انتَ ازاي بتتكلم عربي أحسن مني؟

- أنا بسافر على اسكندرية من وأنا لسه نونو.. اسكندرية دي بيتي، والعربي بتكلمه زي اليوناني تمام.

جلسا بعدها في إحدى المقاهي يحتسيا بعض الينسون، كان المقهى حديث البناء، إلا أنه شعر بأُلفة المكان لحُبه



الشديد لتلك المدينة، وبدأ ألكسندر في توقيع العقود بابتسامةٍ امتلأت بالأمل، بينما أسند عزيز ظهره لأحد الجدران وهو يَعُد الأموال في بهجةٍ وحماس. اتفقا على كل شيء، ناوله التصميمات ورسومات الفندق الذي تعهد له عزيز بأن ما يريده ويتمناه سيتحقق بالكامل بعدما عدَّ أمواله واطمأن.

- ألف مبروك يا خواجة، روح ارتاح بقى عشان بالليل عازمك على حفلة اسبيشيال لسيد درويش ذات نفسه.

- ماشي كلامك يا عزيز أفندي.

- بس صحيح يا خواجة نسيت اسألك، انتَ ناويت تسمي الفندق إيه؟

تنهد ألكسندر مبتسمًا وكأنه كان ينتظر تلك اللحظة وهذا السؤال منذ وقتٍ طويل، ليقول في حبورٍ ظهر أثرها على وجهه وقال فاشخًا فمه:

- القلب.. فندق القلب السعيد، مفيش حاجة فرحت قلبي من يوم ما اتولدت زي فرحتي بالمشروع دا.

بدأ ألكسندر في أعمال البناء بمساعدة عزيز، أتي بأفضل وأمهر المهندسين وعمال البناء، بعضهم من إيطاليا والبعض من اليونان وآخرون من مصر، حتى تحول المبنى إلى تحفةٍ معمارية تبهر الناظرين، أحضر رسامين من فرنسا خصيصًا ليرسموا لوحات جذابة على جدران



الغرف، حتى تحول الفندق في تفاصيله إلى متحفٍ شديد الجمال. مرّت الأشهر سريعًا، وفي غضون عام كان الفندق جاهزًا لاستقبال ضيوفه الأوائل، كان الافتتاح مهيبًا حضره الكثيرون من الأحباب والأقارب، حتى عائلة ألكسندر وزوجته ليدا حضروا خصيصًا من اليونان لحضور هذا الحدث الجميل الذي أتى بالسرور والفخر على الجميع.

أيام تمضي، فيهم اهتمت ليدا بكل التفاصيل الداخلية للفندق المتمثلة في مظاهر الجمال، كانت تبتاع كل صباح العشرات من الورود لتزين أركان الفندق بها، وضعت العديد من اللوحات والتماثيل فزاد الفندق إبهارًا، هي تضيف من جمال روحها فيزدهر المكان أكثر، وألكسندر يتابع عمل الجميع بكل تفانٍ وحب، حتى أصبح لفندق القلب السعيد شهرة واسعة في غضون شهور قليلة، ليبدأ في منافسة أشهر وأهم فنادق الإسكندرية في عام ١٩١٠، ويبدأ معه حلم عائلة ألكسندر، ولعنتهم أيضًا، اللعنة التي طالت الكثير والكثير من البشر.







الإسكندرية – ١٩٨٠..



الشتاء في تلك المدينة طالما كان قارصًا مزعجًا، يحمل لساكنيها المفاجآت التي لم تكن في يومٍ ما سارَّة، خبيث في أفعاله، لا يُظهر نواياه إلا بعدما يسلبك كل ما تملك من دفء، فيحولك رويدًا إلى قالبٍ ثلجي بخس يظنه الناس قطعة ألماظ، ولكن في الواقع هو ألم ينبش في الروح بلا هوادة أو رحمة، شتاء يعدك بأيامٍ يشوبها الحنين والأمل، لتتحول رويدًا رويدًا تتنافس مع اللعنات في قهرها وشرورها، رعد يحرك الروح من مخدعها، وبرق يعمي الأبصار وكأنه شهاب سقط للتو من السماء على تلك البقعة تحديدًا. ولكن، هذا الشتاء كان مختلف بعض الشيء، في الحياة تأتي فصول تحمل بين ضلوعها الكثير من المرار والألم، إلا أن هذا الشتاء كان الأبشع.

في نفس الشتاء الذي صدر فيه فيلم (حبيبي دائمًا)، وغنّت (باربرا سترايسند) ألبومها الأشهر "guilty" كان



عماد العلايلي يقف بقدمين ترتعشان أعلى فندقه، يرى حياته بأكملها على المحك كفيلم قُدّر لأبطاله الهلاك من مشهدهم الأول، فيلم تغلّف بالسواد حتى أصبح هو بطله الحقيقي الذي قدّر له الانتصار في النهاية، ليحيا وحيدًا في عالمه المكفهر. ينظر إليها عماد، فيرى في انعكاسها كل ما أحبَّ وملكَ في حياته يتركه في تلك الليلة المنكوبة، رغم كل ما يحمله بداخله من حبٍ وتفانٍ.

وقفت زوجته (دانيلا) كمركبٍ شراعي يتأرجح داخل المحيط على حافة سطح الفندق بفستان فضفاض، تنظر إلى عماد في أسى، تبكي كطفلٍ لطيم فقد أُمه للتو، تبكي فيهتز جسدها بالكامل، يحاول عماد أن يقترب منها في خوفٍ ليمسك بها ويبعدها إلى مكانٍ آمن، إلَّا أن صراخها ألجمهُ وثبّت قدميه في مكانهما، أنين يقول الكثير قبل أن تنطق هي حرفًا واحدًا من شفتيها المكتنزة.

- دانيلا، حبيبتي، عشان خاطري انزلي من عندك!

- أرجوك ابعد عني يا عماد..

- كل حاجة ممكن تتصلّح صدقيني، بس انزلي من عندك!

نظرت إلى الأسفل، ومن ثمَّ إليه مرةً أخرى لتقول وهي



تبتسم في جزع:

- مشاعرنا بتقدر تكدب علينا بأسوأ الطرق يا عماد، زيها زي البشر، مشاعرنا بتقدر توعد وبتعرف تخون الوعود دي.

- بس أنا مشاعري عمرها ما اتمنّت غيرك، فضّلت تختارك كل مرة وتحت أي ظروف، وهتفضل تختارك يا دانيلا!

كان بين الجملة والأخرى يحاول أن يقترب منها بحذر، إلا أنها لم تكن تمهله الوقت، يقترب هو فتبتعد هي مقتربة أكثر من الحافة.

- مش بعد النهاردا يا عماد.

- إدّي لروحك فرصة.. إدّينا إحنا فرصةّ!

ابتسمت له مرة أخرى وقالت في استياء:

- انت الفرصة الوحيدة اللي روحي اتمنتها.. وأخدتها.

- فكري فيّا، فكري في (سِحر) حبيبتك!

- هتعرف ازاي تحافظ عليها وتحميها.. الوداع يا عماد..

لم تمهله الفرصة ليجيب، رفعت يُمناها في الهواء مودّعة إياه وهو ينظر لملامحها في صدمةٍ قبل أن تُلقي



بجسدها من السطح. وفي غضون ثوانٍ بسيطة تحولت دانيلا إلى مجرد بواقِ ذكرى..

ذكرى تمنّى هو لو ظلّت إلى الأبد معه، ولَهُ.





الإسكندرية – ٢٠٣٣..



تجارة هذا الشاب الريفي مسعد تقع بين الإسكندرية ودمنهور، يقود سيارته اللادا العجوز بين هنا وهناك ناقلًا منتجاته، وفي تلك الليلة تأخر قليلًا عن موعده المعتاد، تحرك بسيارته وهو يدندن مع الراديو مغنيًا "قدك المياس يا عمري.. أيقظ الإحساس في صدري". وتمامًا كالأفلام المعادة التي نحفظ أحداثها عن ظهر قلب، تعطّلت سيارة هذا الشاب مسعد في الشارع ليلًا والذي بدا على غير عادته، خاليًا تمامًا من البشر والحياة على وجه العموم.

كان طريق السفر إلى بلدته تستلزم بعض النوم الذي ظل يحاربه، حتى أتى عطل السيارة كدافعٍ لغفوةٍ لا بد منها، نظر إلى سيارته البائسة ومن ثمَّ إلى جانبه ليجد بنايةً فندقية ضخمة نسبيًا، هتك الزمان عرضها وسلب منها بريقها، ليتَّخذ في تلك اللحظة القرار الأسوأ في



حياته، سيمكث بهذا الفندق الليلة وفي الصباح سيبحث عن حلٍّ لسيارته البالية ليكمل طريقه لبلدته.

الفندق من الداخل يبدو أقدم وأكبر من الخارج بكثير، حوائطه تحمل الكثير من الصور واللوحات الزيتية لأشخاصٍ في الأغلب غابوا عن هذا العالم منذ زمن. يُزيِّن البهو ويتوسطه نجفة ذهبية عملاقة أصابها العمى من الأتربة التي تغطيها حتى أصبحت أقرب إلى اللون الأسود المتَّسخ، امتلأ البهو بمقاعد وثيرة تناثرت بشكلٍ عشوائي، وفي نهاية البهو وقف شابٌ شعره مصفَّف بعنايةٍ خلف مكان الاستقبال وحجز الغرف، يُدخن سيجارته في هدوءٍ إلى جانبه راديو صغير ينبعث منه صوت أسمهان، تشدو أغنية (ليالي الأنس).

كان الشاب يرتدي حُلَّة حمراء اللون بينما في يده قفاز أسود أعطاه هيئة سينمائية بعض الشيء، يُدندن مع صوت أسمهان، إلا أنه توقف عن الغناء عندما رأى الضيف المسائي مقبلًا عليه.

- مساء الخير، غرفة لليلة واحدة من فضلك!

قالها مسعد في ابتسامة، فابتسم الشاب بدوره وقال في أدب:

- مساء النور، اتفضل معايا..

- مش محتاج أي إثبات شخصية؟!



قالها مسعد في تعجب، إلا أن الشاب ابتسم مرةً أخرى وقال:

- حضرتك جاي في وقت زي دا، يبقى أكيد محتاج تنام وترتاح، الصباح رباح.

فشكره مسعد وسار خلفه ليتجه إلى غرفته. مشيا سويًا في رواق طويل امتلأت حوائطه بالكثير من الصور لنفس الأشخاص الساكنين في صور مدخل وبهو الفندق.

- صور مين دي كلها؟ أصحاب الفندق؟

- دي صور سكان القلب الأصليين، المؤسسين والملاك وكل واحد ساب أثر في فندق القلب السعيد.

- دا أنا شايف منهم أجانب كمان!

- اللي أسس الفندق كان خواجة يوناني اسمه إسكندر، واللي مسك الفندق من بعده ابنه، لحد ما اشترى الفندق عماد باشا وبعديه عيسى باشا، حضرتك هتبات في حضن التاريخ حرفيًا.

دلفا سويًا في مصعد رديء ظل صوت تروسه تنخر في آذانهم حتى وصلا إلى الدور الثاني، حيث تكمن غرفة مسعد، ناوله الشاب حقيبته وتركه بابتسامة بدت مخيفة بعض الشيء، حاول مسعد أن يدس في يده بضع جنيهات، إلا أن العامل رفض في أدب وتمنَّى له ليلة



سعيدة قبل أن يرحل ويتركه.

بدت الغرفة وكأنها تنتمي لزمن آخر، الفراش والمقعد أشبه بأثاث القرن الماضي، رسم على حائط الغرفة وسقفه لوحات لملائكة صغار أصاب ألوانها البهتان والعجز، هو بالفعل في أحضان التاريخ.

أسند مسعد رأسه على ظهر الفراش بعدما انتهى من حمَّامه الساخن، الحمَّام جعله ينسى النوم قليلًا، فقام بالضغط على زر التلفاز، فانبعثت من إحدى القنوات بعض الموسيقى الآسيوية التي لم يفهمها، ولكنه لم يمانعها، ليقوم بعدها بإشعال سيجارته الأولى بعد يوم طويل وهو ينفث دخانها في تلذذ، إلا أن متعته قد تبخَّرت مثل دخان السيجارة في لحظات بسبب صوت رقعٍ مستمر على باب غرفته، قام من مكانه متأفّف يربط منشفته حوله، ليجد عامل الاستقبال الذي أرشده إلى الغرفة يبتسم له بشكلٍ مريب بعض الشيء، متسمِّر أمام الباب.

- مساء الخير يا فندم.. بنفكرك إن التدخين ممنوع في الغرف.

- ممنوع؟ بس أنا مش شايف أي ورقة بتقول كدا يعني!

- بعتذر لحضرتك، كل الغرف عندنا ممنوع فيها التدخين، تقدر تدخن سيجارتك في اللوبي أو البار.



- تمام.. تمام.

ألقى مسعد كلمتيه الأخيرتين ليقوم بصفع الباب بكل قوته في وجه عامل الفندق، وعاد مرة أخرى لسيجارته غير مهتم لكلمات الرجل الذي عكَّر صفاء ليلته، أنهى سيجارته الأولى ومن ثمَّ الثانية، حتى تحولت الغرفة بعد قليل إلى غرفة "ساونا" بفعل الدخان، ولخلو الغرفة من شافط للهواء، كان حينها مسعد قد اندمج مع فيلم بوليسي يعرض في التلفاز، حتى أفاق من تركيزه مرة أخرى على صوت طرق بابه مرة أخرى. قام متحفزًا ليواجه الشاب بكل غضب، إلا أنه ألجم لسانه عندما فتح الباب ووجد أن الطارق رجل مُسن يجلس على كرسي متحرك كهربائي، كان العجوز شديد الأناقة، يرتدي حُلة فاخرة، ذا شارب عملاق مهذب بعناية، ونظارة طبية زادت من هيبته ووقارِه، ابتسم العجوز وقال:

- أنا عيسى العلايلي صاحب الفندق.

- أهلًا وسهلًا؟

- تسمح لي بدقيقتين؟

تعجب مسعد من الطلب، إلا أنه تحرك من أمام الباب ليستقبل العجوز في غرفته، أوقف عيسى مقعده في منتصف الغرفة بينما جلس مسعد على المقعد المقابل



له، ينتظر من العجوز أن يبدأ كلامه.

- عارف يا أستاذ مسعد ليه العالم فيه قوانين؟ القوانين اتعملت عشان تحمي حقوق الناس، وعشان ما نبقاش عايشين في فوضى. الفوضى لعنة صدقني، أنا عشت الفوضى بكل معانيها في حياتي، وخسرت كتير بسبب إني ما حطتش لنفسي خطوط أو شروط. وعشان كدا كل غلط لازم يتصلح، بس برضو بطريقة غلط.. هو دا العدل.

- معلش هو حضرتك جاي أوضتي في نص الليل عشان تشرح لي أهمية القوانين؟ دا أغرب فندق شوفته في حياتي!

- ومش هتشوف زيه. أي فندق تاني كنت طلعت للراجل اللي جالك من شوية مبلغ مالي وكان هيعدي موضوع السجاير، بس هنا فيه قوانين خاصة، وللأسف انت كسرتها رغم التنبيه عليها.

شعر مسعد بالغضب، فقام مندفعًا يلقي بملابسه داخل حقيبته وهو يقول غاضبًا:

- أنا كان المفروض أنزل في فندق محترم، مش فندق صاحبه جاي يربيني ويعلمني الأدب. أنا ماشي، ومش هعدي الموضوع.

إلا أنه قبل أن يغادر غرفته حجب خروجه عامل الفندق،



والذي قام بلكمة بقوة ليفقد وعيه في الحال، وحمله إلى مكانٍ آخر بالفندق. بعد دقائق، أفاق مسعد ليجد نفسه مقيدًا في مقعد خشبي، وأمامه يجلس عيسى وعامل الفندق، ينتظرون إفاقته كملائكة الموت.

- انتم أكيد مجانين! مشوني من هنا فورًا.. أنا هوديكم في داهية يا شوية مخابيل!

قام عامل الفندق من مكانه ليقوم بوضع شريط لاصق فوق فتحتي منخار مسعد، والذي كان قد بدأ في الصراخ ليستبدل صرخاته بأنفاسٍ متلاحقة تخرج من فمه خائفة وحائرة، أخرَج بعدها العامل من جيبه سيجارة قام بوضعها في فم مسعد وإلصاقها بفمه بالشريط اللاصق وهو يضحك. نظر إليه عيسى في هدوء وهو يقترب منه قائلًا:

- دا عقابك يا أستاذ مسعد، تنهي حياتك بسبب الحاجة العبيطة اللي قررت تكسر القوانين عشانها. تخيل لو السجاير حرقت الفندق وحد اتأذّى بسببك! أعتقد ما كنتش هتسامح نفسك. للأسف، الدخان مش هيلاقي مكان يخرج منه وهتتخنق في خلال ٥٠ ثانية لو رئتك حلوة، وأنا أشك في الموضوع دا.

كان مسعد يصرخ في فزع بصوت مكتوم، إلا أن عيسى لم يبالِ، وقال وهو يشعل السيجارة المتدلية من فم مسعد بنبرة هادئة:



- زي ما قولتلك.. كل غلط لازم يتصلح بطريقة غلط.

نوّرت الفندق.





الإسكندرية – ١٩٨٣..



بريق ولمعان الفندق يظهر جليًا في نظافته ورونقه وكأنه أُنشئ للتو، كل شيء يتخلله روائح طيبة ونظافة ناصعة يثني عليها الجميع وتدفعهم ليظلوا زوارًا دائمين للفندق. الغرف جميعها مرتب، يشهد كل النزلاء على روعة الأكل بالمطعم واختلافه عن سائر مطاعم الإسكندرية، يتم أيضًا الثناء على حسن الاستقبال وسمو المعاملة من جميع العاملين، يتعامل الجميع مع الزوار وكأنهم –بحق- من السكان الأصليين لهذا المكان، يهتم عماد بكل شيء مهما كان بالنسبة للجميع هيِّن أو غير هام.

عصر عماد العلايلي يعتبره الجميع العصر الذهبي لفندق القلب، وحده عماد مالك ومدير الفندق القادر على إدارة هذا المكان بكل تلك البراعة والتفاني، وضع روحه وطاقته كلها داخل جدران هذا المكان، وكان حبه لفندقه نابعًا من حبه لها. دانيلا، حبيبته الأولى والأخيرة،



ولعنته أيضًا.

في هذا الصباح، وقفت **سِحر**، طفلته الصغيرة، في بهو الفندق، تراقب الناس ذهابًا وإيابًا في تركيز شديد، وهي تتمختر في فستانها المطرز بالعشرات من الورود البيضاء الملائمة بشدة لجمالها البراق، تتأمل ملابسهم وتفاصيلهم، وتتأمل أيضًا هذا البرواز العملاق الذي يحمل صورة والدتها بالحجم الطبيعي في منتصف البهو، عيناها تدوران في فضول طفولي، تحيي الجميع بكفها الصغير، حتى اقترب منها أبوها بحلته المهيبة مبتسمًا وهو يحملها لأعلي بين ذراعيه قائلًا:

- يا ترى أميرتي الحلوة بتعمل إيه وسايبة مذاكرتها؟

- بتفرج على الناس يا بابا.

- يا حبيبتي انتِ أميرة، يعني الناس هما اللي لازم يتفرجوا عليكِ.

حملها فوق كتفيه بعدما طبع قبلةً على خدها، ومشى بها في سعادة إلى مطعم الفندق، وقال لأحد العمال:

- عايز طبق كاساتا لسِحر هانم بسرعة.

ثم وضع ابنته على المقعد الخاص بطاولته، وقال وهو يقبِّل رأسها مرة أخرى:

- استمتعي بحلوياتك، وأنا طالع المكتب فوق، لو



احتجتِ حاجة قولي لوفيق أو فل.

ابتسمت الطفلة ذات العشرة أعوام في حبٍ بالغ لهذا الرجل الذي ترى فيه كل عالمها، وبعدما ابتعد أبوها بضع خطوات، نادى عليها وقال:

-بحبك قد ما القلب بيعرف يحب يا سِحر.





الإسكندرية – ٢٠٣٤..



طه لا يشبه أحدًا، أو هكذا يقول دومًا، يرى نفسه استثنائيًا، لا لسببٍ محدد، محقق عبقري، منزوٍ، معقدٍ، منعزل، يعاني من اضطرابات لا تنتهي، يكره كرة القدم، وأحيانًا يتحدث مع الأموات، ولكنه كان أكثر إشراقًا في الماضي.

منذ بضعة أعوام، وتحديدًا بعد مقتل زوجته ملك، اعتزل طه حياته العملية والحياة بأكملها على وجه العموم، قدَّم استقالته، ولكن تم رفضها وتم استبدالها بإجازة مفتوحة، وبعد هذا القرار اختفى تمامًا من الجميع، كأنه لم يكن موجودًا في هذا العالم من قبل، لا يغادر منزله إلا للضرورة القصوى، والتي قد لا تأتي أبدًا، يقبع بمنزله كناسك يتحاشى البشر في كهفه، لا ترى عينه نور الشمس حتى أصبح يألَف الظلام كطائر أم قويق، يعيش على المعلبات والمقرمشات حتى



أصبح هزيلًا كأفعى باربادوس، باستثناء أن جلده لا يتغير كحالته ومزاجه، أصبح كمجذوب يتحاشاه الجميع كالظربان، لا يسمع إلا الصمت، ولا يتفوه إلا بالصمت، ولا يتجرع من الحياة سوى الصمت، إلا في الليالي التي يستيقظ بها مفزوعًا على صوت صرخات زوجته الراحلة، أطلق لحيته حتى أصبح كالمتشردين، ابتعد عنه الجميع لاعتقادهم بأنه فقد عقله، الوحيد الذي بقيَ على اتصال معه هو صديقه الوحيد وزميل العمل بسيوني، صديق قديم يفهم جراحه ويستوعب كل التحول الذي طرأ عليه.

لم يكن طه يومًا من المرفهين الذين يستيقظون على مكالمات الحب والغرام منذ وفاة زوجته ملك، أو حتى رسالة من شركة المحمول تذكره بضرورة دفع فواتيره التي أصابها العفن من التجاهل واللامبالاة الغارق هو بها، كسمكة ميتة تطفو فوق سطح الماء، يحركها الموج يمينًا ويسارًا، ولكنه دومًا يستيقظ على صوت بسيوني المزعج، والذي دائمًا ما يحمل أخبارًا لم تكن يومًا سارّة، أو تقترب لو سنتيمترات قليلة من البهجة. بسيوني زميل طه منذ نعومة أظافره، ولحظه القذر والعسر فقد ظل بسيوني زميله حتى في العمل. يراه كذنبٍ لا يغتفر، طائر بطريق قصير لا يشغله شيء غير معدته الممتلئة دومًا والاسترخاء لساعاتٍ طويلة، إلا أنه كان يحبه بصدق، رغم لزوجته وإزعاجه الذي لا ينتهي.



تأتي مكالماته لطَه في هيئة أخبار تتناسب جيدًا مع صفحات السوشال ميديا الخاصة بمؤلفي روايات الرعب الذين يتغذون على الأخبار الدميمة، ويتجرعون كل ما هو غريب وغير مألوف، يتفنن كُتَّاب الرعب في إظهار كل ما هو قبيح في هذا العالم، ولو علموا بقصة طه لحصلوا على نوبل في الأدب، ولكن مكالمة هذا الصباح كانت مختلفة عن كل الأيام السابقة.

اليوم، دقَّت ساعته الأثرية معلنة عن وصول الزمن إلى الساعة الثامنة صباحًا، ولله الحمد والشكر لم يتصل بسيوني حتى الآن. إلا أنه قبل أن يغادر فراشه بثواني، بدأ الهاتف في صياحه المثير للغضب، بالطبع بسيوني يستعد ليزف إليه بعض الأخبار التي تتشابه تمامًا مع كل ما هو بشع في حياته.

- خير يا بسيوني.. اتحفني!

- طب قول صباح الخير الأول، دا أنا سايب طبق بيض بالبسطرمة لأجل عيونك.

- طب لأجل عيوني، سيبني وروح كمل بيضك.

- استنى بس.. المرة دي الموضوع شكله كبير.. الريس الكبير ذات نفسه اللي طالبك.

تعجب لجملته، الريس الكبير لا يطلب مقابلة أحد إلا إن كان الأمر ضروريًا، سريًا، ومهمًا للغاية.



- هو الريس الكبير مش عارف إني في إجازة بقالي سنتين؟ إيه اللي فكَّره بيا؟

- كل اللي قاله إن فيه جريمة حصلت، وطه الحسيني هيبقى مهتم جدًا بيها.

- غريبة الحكاية دي! هلبس ورايح له. اعملي ساندويتش معاك يا دني.. سلام.

يكره طه الصباح، ويكره الصباح إن كانت بدايته بسيوني، ويكره الصباح إن كان بدايته بسيوني يريد أن يطلب منه شيئًا ما، ولكن هذا الصباح كان مختلفًا تمامًا.

وصل إلى المقر، كان فريد بك قد لغى كل مواعيده مسبقًا ليقابله. فريد بك هو التطور الطبيعي لكائن الطاووس، يتباهى دومًا بذكائه الخارق، يرى نفسه شخصًا استثنائيًا لا يقارن بباقي البشر، في المرتبة الأعلى من الهرم الغذائي، أو هكذا يرى نفسه، يظن أنه ملك الغابة، أما في واقع الأمر، هو مجرد عجوز غبي ومتعجرف وصل إلى مكانته بالاحتيال والعلاقات الملتوية، ولكنه في نهاية الأمر الريس الكبير، والذي يجب على الجميع احترام كلامه وطلباته.

- صباح الخير يا ريس.. حضرتك طلبت تقابلني!



كان شارد الذهن على غير عادته، يمسك في يده اليمنى كوبًا من الشاي فقدَ دِفئه ورونقه منذ ساعات على الأغلب، أشار بيدِه كي يجلس طه، ففعل.

- عاش من شافك يا حسيني! طمني على أحوالك!

- الحمد لله يا فندم.. مافيش جديد.

- طوّلت في العزلة يا طه، الشغل محتاجك..

نرجسيته تمنعه أن يقول أنه هو مَن يحتاج طه، استبدلها بـالشغل ليداري قلة حيلته.

- وأنا بقيت محتاج العزلة يا فندم.

- طه الحسيني مكانه في الشغل، الشغل وبس اللي هيخليك أحسن، صدقني.

- إن شاء الله.. بسيوني قالي إن حضرتك عايزني!

قالها طه بشيء من البرود واللامبالاة، إلا أن الآخر أجابَه بكل اهتمام:

- جريمة قتل غريبة جدًا يا طه، القتيل تم العثور على رأسه بس، وجواب..

تذكر في تلك اللحظة جريمة قديمة غيرت حياته بـأسرها، إلا أن ما لفت انتباهه كان مكان وقوع الجريمة، نطق اسم المكان كمَن يلقِّن شخصًا الشهادة قبل تنفيذ



حكم الإعدام.

- الجريمة حصلت في فندق القلب السعيد، الفندق القديم اللي في و...

- وسط البلد.. عارفه يا فندم. اعتبر القضية دي بتاعتي معاليك.

- التحقيقات في الفندق شغالة عادي، بس في شكل سري جدًا. انت هتروح كنزيل، عايز الناس تطمن من ناحيتك.. مجرد ضيف فضولي مش أكتر.

- مش أول مرة يا فندم.. ما تخافش.

في تمام الثالثة عصرًا، كان طه يحمل في يده حقيبة صغيرة في أحد الشوارع متناهية الصغر والقدم. وقف أمام البناية الضخمة نسبيًا، يتأمل تفاصيلها الخارجية، مبنى مكون من خمسة أدوار، ينتصف المبنى لوحٌ خشبي كبير، كُتب عليه بخط يدوي منمق فقد بريقه "فندق القلب السعيد"، وأسفلها بخط أصغر أُضيء بالنيون الأحمر، كتب "الفندق يرحب بسكانه ويتمنى لهم إقامة سعيدة".

استوقف طه للحظة كلمة "سكانه"، إلا أنه لم يهتم كثيرًا، ودلف من الباب الأمامي الضخم ليستقبله بهوٌ كبير مظلم نسبيًا، تراصّت به المقاعد والأرائك الرثة، واللوحات التي تحمل وجوهًا لأشخاصٍ على الأغلب



غادروا هذا العالم. وفي نهاية البهو، وقف شاب ثلاثيني في مكتب الاستقبال، يرتدي حلة حمراء، في استقباله بابتسامةٍ لم يستسيغها، إلا أنه ردَّها له، وقال:

- مساء الخير، عايز أحجز أوضة من فضلك!

- تحت أمرك، كام ليلة؟

- ليلتين.

فابتسم وقال بشيء من السخرية التي لم يفهمها طه:

- ليلتين! بس؟

- عندكم حد أدنى من الليالي؟

قالها بنبرة حادة بعض الشيء، إلا أن الآخر ابتسم له بمكر وقال:

- لا خالص يا فندم، بس سكان فندق القلب في الغالب بيطولوا.

غاب الشاب لدقيقة ثم عاد وفي يده مفتاح قديم، لم يتعجب طه بأن كل الفنادق في كل مكان يستخدمون الكروت الممغنطة باستثناء فندق القلب السعيد، لأنه زار الفندق منذ سنوات ويعرف تفاصيله جيدًا، طالما أعجبته الروح الكلاسيكية للمكان، ابتسم للشاب وسأله عن اسمه، فقال بابتسامةٍ عريضة:



- حبيب يا فندم، وعشان بقالي هنا سنين طويلة فالناس بتسميني حبيب القلب.

يبدو على حبيب الذكاء، شاب، ولكنه في نظر طه ينتمي لزمن آخر، لديه شارب رفيع يشبه شوارب الرجال في القرون الماضية، شعره ناعم مثبَّت إلى الخلف بُطِن بالفازلين مما أعطاه لمعةً غريبة، عينه تشع بالخبث والأسرار.. أسرار يتمنى طه أن يكتشفها.



الإسكندرية – ٢٠٠٣..



انتهت ساعات اتمامِه لسنِّ الثلاثين منذ دقائق، وها هو يجلس في تلك الحانة الحقيرة يتجرَّع زجاجات البيرة الرخيصة وحيدًا في الساعات الأولى من الصباح، يعرف عيسى أنه سيئ الحظ، وفي الواقع هو لا يبالي لهذا تمامًا، ولكنه لن يمانع أبدًا إن تغير هذا الحظ ولو قليلًا، يمشي في الشوارع باحثًا عن محفظة ممتلئة، زجاجة ويسكي قرر صاحبها أن يلقيها قبل أن يفرغ منها، أو حتى بعض أعقاب السجائر، والتي تبقى في عمرها عدة أنفاس باقية.

ليلة الأربعاء، هي الليلة الأقرب إلى قلب عيسى، فهي لا تنتمي إلى ليالي أعياد الميلاد، وهي الخميس والجمعة وأحيانًا السبت، يسميهم عيسى بليالي عيد الميلاد لوفرة العمل بهم، ولكنه في المقابل لا يسهر بعدهم لشعوره بالإرهاق، ورغم أن ثلاثتهم ليالِ الرزق



ووفرة المال، إلا أنه كان يفضل مزاجه عن أي شيء آخر. فور أن ينتهي من عمله بالسيرك ويستلم يوميته، حتى يذهب ليجلس على مقعده المفضل في البار ويبدأ في تجرع زجاجات الـid بلا هوادة، كجمل يستعد لرحلة طويلة في صحراء عتيدة. يبدأ عيسى بالشرب وهو واثق من جيبِه مؤكدًا على نفسه أنه لن يسمح لنفسه بأن يشرب أكثر من ٤ أو ربما ٥ زجاجات على الأكثر، ولا مانع من بعض المزّة والتي لا تخرج عن بعض شرائح الخيار والجزر وطبق من الجبنة البيضاء القديمة، وفي بعض الأحيان يثور على الواقع ويطلب بعض المشويات، ولكنه في جميع الأحوال لم يفلح يومًا في الخروج من أحضان البار بكرامته.

فور أن ينتهي آخر جنيه معه حتى يبدأ في الإلحاح على (ثروت) -البار مان- بأن يعطيه زجاجة أخيرة، وفي المقابل سيخبره عن بعض أسرار مهنته، ولكن في العشر سنوات الأخيرة لم يظهر على ثروت ولو لمرة واحدة الرغبة في معرفة أسرار مهنة عيسى الساحر.

يبدأ الإلحاح بقَص عيسى بعض النوادر عن والده الراحل، وخصوصًا تلك القصة الشهيرة التي حكاها مرارًا وتكرارًا للجميع عن تلك الحفلة التي سِحر فيها والده الجميع، وجعلهم ينهقون كالحمير، ثم يتصاعد إلحاحه باستخراجه لبضعة حمامات من حقيبته المهترئة.



- يا ثروت، اشتري مني، يعني انت متخيل إن الإزازة دي أغلى من سر المهنة؟

- خليلك أسرارك يا عيسى وبلاش سيناريو كل يوم دا الله يبارك لك.

- يا جدع دي أسرار هتخليك تكسب دهب..

- كان الساحر نفع نفسه.. عايز الزباين يلاقوا أرنب بيلعب في إزازة الويسكي!

- والله دا يبقى أرنب زي العسل. هات بس كمان إزازة وهديك البرنيطة بتاعت أبويا تتصور بيها.

يندب حظَّه وقرارته المتسرعة، كيف له أن يتزوج وهو لا يجد قوت يومه؟ وإن وجده يصرفه على كيفه. كيف وافقت هي على ذلك؟ كيف له أن ينجب طفلًا ليعذبه بفقرِه في هذا العالم الحزين؟ تجرع ما تبقى من زجاجته وهو يشاهد شريط حياته كفيلم سينمائي، يمر من أمام عينه الناعسة. تذكر حبه الفطري لألعاب خفة اليد، والتي ورثها عن والده الحاج فايز، أو كما كان يلقبه الناس وقتها (فايز كوبرفيلد)، كانا يعيشان على يومية السيرك، والتي لم تكن تتعدى الجنيهات القليلة وساندوتشي فول، وبعدها يبدأ عمله في الليالي الثلاثة الأهم له في الأسبوع، وهي الخميس والجمعة والسبت، حيث تكثر أعياد ميلاد الأطفال ويزداد الرزق فيهم.



أعياد الميلاد كانت تنقسم إلى قسمين، وهي أعياد الميلاد "الأورديحي"، والتي تقام في مراكز الشباب أو في مطاعم الوجبات السريعة، وأعياد ميلاد "ولاد الذوات"، والتي يذهب بعدها إلى المنزل محملًا بحقيبة من بوفيه العشاء، لينعم هو وعيسى بعشاء يعيشون على ذكراه لليال طويلة. كان الحاج فايز هو الأقرب إلى قلب عيسى في هذا العالم، وفور أن أنتهى من الثانوية العامة بمجموع سبعين بالمائة، رفض أن يلتحق بأي جامعة أو معهد، وقرر أن يمتهن عمل والده ليصبح خليفته في السحر وخفة اليد، كان مبهورًا بأبيه حقًا، يذهب معه إلى جميع أعياد الميلاد والحفلات، ويراقب جيدًا، ومع مرور الوقت أصبح له فقرة صغيرة في بروجرام والده، تلك الفقرة البسيطة التي جعلته يشعر وكأنه يمتلك العالم بأسره.

ومع وفاة الأب، أصبح عيسى هو خليفته في الملاعب، وذاع صيته لسنوات، ولكن مثله مثل كل شيء نألفه فنزهده بعد فترة، لم تعد أعياد الميلاد تهتم بفقرة الساحر، وتم استبداله بالدي جي، وفي بعض الأحيان بمطرب، فأصبح الآن يعيش على ما يكسبه من فقرته اليومية بالسيرك، وقد يحالفه الحظ ويوم بإحياء مناسبتين أو ثلاثة في الشهر، اعتزل الجميع وابتعد عن الناس، فلم يصبح له ونيسًا سوى زجاجة الخمر وكفى، بلا أمنيات أو أحلام.



- هو أنا كنت غلطان يوم ما مشيت ورا شغلانة أبويا يا عم ثروت؟

ولكن ما يتمناه حقًا في دهاليز أحلام اليقظة، هو أن يستطيع أن يوفر لزوجته البائسة وطفله الجائع الحياة التي يستحقونها، لا يتمنى سوى الطبيعي ولا أكثر من ذلك، هو لم يعرف شيئًا في حياته إلا السحر، ولا يفهم في أي شيء آخر سواه.

- انت كويس يا عيسى؟

قالها عم ثروت صاحب الحانة، والذي يعتبر عيسى من زبائنه المخلصين، رغم تأخره كثيرًا في الدفع، إلا أنه كان يشفق عليه وعلى هيئة حياته المزرية.

- النهاردا عيد ميلادي يا عم ثروت وبقضيه معاك.. يبقى هبقى كويس إزاي بس؟

ضحك ثروت وقال:

- طب ما تقوم يا أخي روح لمراتك واحتفل معاها واترحم شوية من خلقتي!

- أنا لو روحت دلوقتي لمراتي هتقعد تتخانق وتزعق وتقولي التلاجة فاضية، بقيت بفكر أبيع التلاجة عشان أبطّل أسمع الجملة دي.

- قوم بس روح لها وكل حاجة هتتعدل وهتقول عم ثروت



قال.. مين عارف إيه اللي مستنيك برّا يا واد!

هم عيسى بالرحيل إلى المنزل، يتعثر كالمسطول، حتى توقفت أمامه سيارة سوداء فارهة، فُتحت نافذتها ليخرج منها رأسٌ حليق يبتسم لعيسى في ود:

- عيسى باشا؟

يعلم عيسى تمام العلم أنه ليس باشا أو حتى أفندي، يعلم تمام العلم أنه مجرد نكرة في عالم واسع لا يأبه لوجوده، هو مجرد عاطل فقير لم يقابل من الحظ ولو حتى أقل القليل، إلا أنه يعلم أيضًا أن في هذا الشارع الخالي تمامًا من المارة لا يوجد إلا عيسى واحد فقط.

- أنا يا فندم؟

- مش حضرتك عيسى باشا العلايلي؟

- تحت أمرك..إزاي أقدر أساعدك؟

- فاضي نقعد نشرب حاجة نص ساعة؟

- لو على حسابك ماشي، عشان أنا مافيش قرش في جيبي.. فيه بار هايل قريب من هنا.

- لا أنا أفضل نقعد نشرب شاي أو قهوة.

جلسا سويًا في أحد المقاهي الصغيرة، يحتسيان الشاي دون أن ينطق أحدهما بأي شيء، يختلس عيسى بعض



النظرات للرجل، ينتظر أن يخبره بسبب تلك الجلسة، إلا أن الآخر بدا منسجمًا بكوب الشاي الخاص به.

- أنا عارف إن الشاي بتاع الواد فجلة طعمه حلو، بس الفضول هيموتني أعرف مين حضرتك وعايز إيه!

- سامحني أنا بقالي يومين في الطيارة ودي أول كوباية شاي أشربها.. أنا مختار حقي، محامي عمك عماد العلايلي الله يرحمه.

- عمي عماد؟ أنا ما سمعتش الاسم دا من وأنا عيل صغير.. هو مات؟

- أنا عارف إن عماد باشا ما كانش له أي صلة بيكم من سنين طويلة.. هحكيلك كل حاجة بالتفصيل في الوقت المناسب، بس اللي لازم تعرفه إنك وريثه الشرعي الوحيد يا عيسى.

ابتسم عيسى في سخرية وقال:

- لو دا مقلب يا أستاذ عرفني عشان أنا مش بكره في حياتي قد العشم اللي بيطلع على فاشوش، وبعدين إيه حكاية الوقت المناسب دا؟ دايمًا في الأفلام يقولوا الكلمة دي وعمري تحديدًا ما عرفت امتى الوقت يبقى مناسب لأي حاجة!

سكت مختار للحظات قبل أن يفتح حقيبته



السامسونايت، والتي كانت مستقرة بين قدميه، وأخرَجَ منها بعض الأوراق وناولها لعيسى غير المصدق لأي شيء.

- اقرا يا فندم، هتعرف إني لا بعمل مقلب ولا أي حاجة من الحاجات دي.

بدأ عيسى في القراءة، ومع كل سطر يمر أمام عينيه كانت تتهلل أساريره. أكان عم ثروت على حق بقوله أن الحظ سيبتسم له أخيرًا؟!

وفور أن انتهى من الورق كله، وضع مختار بين أصابعه قلمًا فاخرًا وقال:

- قبل ما تمضي على استلام ورثك لازم تقرأ وصية الباشا الكبير، واللي مش هاينفع ما تنفذهاش. أنا من النهاردا معاك يا عيسى باشا.

شرع عيسى في القراءة، وكلما انتهت عينه من سطر كلما ازداد بداخله الفضول وعدد لا نهائي من الأسئلة.







مر طه ومن جانبه عامل الفندق حبيب وهو في طريقه ليسكن غرفته من جانب غرفة اقتذت عن آخرها برجال الشرطة ورجال المعمل الجنائي، فاصطنع البلاهة ونظر إلى حبيب متسائلًا:

- هو فيه حاجة حصلت هنا ولا إيه؟

- النهاردا يوم تعيس على القلب، بس القلب بيعدي كل حاجة.

- سرقة؟ ولا جريمة؟

- القلب مسيره يلاقي الحل لكل حاجة، القلب دايمًا بيلاقي الحل.

لم يفهم طه إجاباته العجيبة، إلا أنه اصطنع عدم الاكتراث. مشيا سويًا حتى وقفا أمام باب الغرفة ١٧، ابتسم حبيب وقال وهو ينصرف:

- إقامة سعيدة، ولو احتجت أي حاجة هتلاقيني عندك في ثواني.

دلف طه إلى الغرفة العتيقة يتأمل تفاصيلها، فراش ضخم لا يتشابه مع أي غرفة فردية بأي فندق آخر أبدًا، دولاب ضخم بني اللون من خشب الصندل، وتلفاز قديم يتناسب تمامًا مع الروح العجوز للمكان، بالإضافة إلى تسريحة صغيرة وكرسي من الجلد في أحد أركان الغرفة،



تأمل طه تفاصيل الغرفة ليخرج بعدها إلى الشرفة التي تطل على شارع قديم خالٍ تمامًا من المارة. سحب الكرسي الجلدي وجلس أمام الشرفة، وعاد برأسه إلى الوراء ليتذكر تفاصيلها.. ليكون معها.. ملك...



- انت وعدتني هتاخد إجازة عشان شهر العسل يا طه! كل مرة بتضحك عليا وبصدقك!

- يا حبيبتي، والله غصب عني، مواعيدي على كف عفريت.

- دا أنا اللي هعملك فيها عفريت لو ما أخدتش إجازة عشاني. شاطر بس تقولي بحبك وعايز أتجوزك!

- طب ما أنا بحبك وبموت فيكِ وهتجوزك خلاص كمان يومين.. طب هقولك حاجة حلوة، تيجي نسافر اسكندرية يومين؟ اهو يومين عسل وبعدها ناخد شهر في المكان اللي تختاريه وفي البلد اللي نفسك فيها.

- يعني بعد ما وعدتني بتايلاند نروح اسكندرية؟ موافقة بس برضو هنروح تايلاند، ماليش دعوة!

وافقت وقتها ملك على مضض، كانت تتمنى أن يكون شهر عسلها مختلفًا كما تسمع دومًا من صديقاتها الذين سبقوها في الزواج، بلد استوائية بعيدة، قبلات تحت الماء، وطعام شهي أمام المحيط، ولكنها الآن عليها أن ترضى برحلة مدتها يومين إلى الإسكندرية التي لم تحبها يومًا، لم تكن تعلم أن تلك الرحلة ستكون رحلتها الأخيرة في هذا العالم.

يعلم طه أنها غاضبة، ويعلم كل العلم أنه وعدها بأشياء كثيرة لم يحقق منهم شيئًا حتى الآن، ولكن ظروف عمله كمحقق متخصص في قضايا القتل جعلت حياته ملكًا للعمل وليست له، ويعلم أيضًا أنه لو كان الأمر بيده لكان فعل كل شيء ليسعدها ويفرح قلبها. كانت ملك تحبه بصدق وتعلم تمام العلم أنها اختارت رجلًا وقته للعمل، وأن الحب بالنسبة له رفاهية كبيرة، إلا أنها لم تتمنَ رجلًا غيره طوال حياتها.

تمت الزيجة بفرح بسيط اقتصر على الأقارب وبعض الأصدقاء، وبعد انتهاء الليلة، توجها إلى الإسكندرية مع فجر اليوم التالي. كان الجو جميلًا في هذا الوقت من العام، يقود سيارته وهي نائمة في حِضنه تبتسم له في حب، ما زالت غير مصدقة أن حب حياتها أصبح زوجها



أخيرًا، ما زالت لا تصدق أنها تركت منزل أهلها وستحيا عمرها مع هذا الوسيم الذي لم تتمنَ سواه، وحاربت كل المعارضين ليصبحا سويًا. أدار طه مفتاح الكاسيت الخاص بالسيارة لينبعث منه صوت عبد الحليم حافظ يشدو قائلًا في دلال:

ورمش الأسمراني شبكنا بالهوى..

آه ما رمانا الهوى ونعسنا..

واللي شبكنا يخلصنا..

ضمها أكثر إلى صدره وهو يقبلها بحب في لحظة انتظرها لسنوات طويلة.

- حجزت في فندق اسمه القلب السعيد، سمعت إنه فندق بشوات.

- ما سمعتش عنه قبل كدا.. عمومًا اللي تشوفه يا حبيبي.

- أنا عارف إنك زعلانة، بس أوعدك إني هعوضها لك.

كان الفندق أكثر إبهارًا مما شاهده هو في الصور على الإنترنت، لم يتغير شيء من تفاصيله منذ بنائه، باستثناء أضوائه ونظافته، الآن أصبح أكثر إظلامًا، وأقل ترتيبًا، إلا أنه احتفظ بسِحره الأخّاذ.

ذهبا بعد وضع حقائبهما إلى مطعم الفندق لتناول



الإفطار، وقبل أن يعودا مرة أخرى إلى غرفتهما استوقف طه صوت شخص غريب الهيئة ينادِ عليه من الخلف.

- طه؟ طه باشا بنفسه في اسكندرية!

استدار طه في استغراب ليجد أمامه وجهًا تمنى لو لم يقابله مرة أخرى في حياته، وجه قبيح لشخص أقرب إلى حيوان وحيد القرن من كونه بشري، (سيد ناموسة). سيد ناموسة مجرم من ظهر مجرم، قضى أغلب حياته خارجًا عن القانون والإنسانية، بلا قلب، بلا روح، وبلا خطوط حمراء، لا ينسجم مع البشر، لم يفلح أحد في الإيقاع به متلبسًا من قبل، باستثناء طه، وهو الشيء الذي لم ينساه ناموسة طوال حياته.

- ازيك يا سيد.. كفارة!

- حبيبي يا طه باشا. بس إيه الشياكة دي؟ نقول مبروك الجواز!

كان ينظر إلى ملك بينما يوجه كلامه إلى طه، مما أثار غضبه، فقال بحزم شديد:

- انت هتصاحبني يالا؟ ما اشوفش وشك اليومين اللي هقعدهم هنا بدل ما ترجع تشرف زنزانتك تاني.

- أوامر يا باشا.. دا انت الغالي.

رمق ملك بنظرة أخافتها قبل أن يرحل من أمامهم،



تعجبت هي لهيئة هذا الرجل، وقالت وهي تنظر إلى طه ممسكة بذراعه كمَن ينكمش بداخله:

- مين دا يا طه؟ وليه كلمته بالطريقة دي؟

- دا يا حبيبتي أوسخ بني آدم عرفته في حياتي، سفاح وحرامي على تاجر سلاح، كوكتيل وسخ كدا، ودايمًا بيلاقي حد يشيله مصايبه ويطلع هو في الآخر.

- شوفت كان بيبص لك إزاي؟ ما تيجي نمشي من الفندق دا يا حبيبي!

تمنى طه لو كان قد استمع لها ووافق على جملتها الأخيرة، إلا أن كبريائه منعه من الرحيل، وقال لها ضاحكًا:

- أصلي الوحيد في حياته اللي علّمت عليه، صعب يداري الكُره يا روحي.

انتهى اليوم الأول سريعًا، لم تعتقد ملك أنها ستستمتع بتلك الرحلة القصيرة لهذه الدرجة. حاول طه أن يجعل جدولهما حافلًا بالعديد من المزارات والأماكن، ذهبا سويًا للمشي على الكورنيش، تناولا الجيلاتي وصحبها بعدها طه إلى مطعمه المفضل "سانتا لوتشيا"، ليذهبا بعدها لمشاهدة الغروب أمام البحر في نادي اليخت بداخل مركب استأجرها طه خصيصًا لها، كانت الفرحة تتطاير من عينيها مما أشعره بالارتياح.



وفي اليوم التالي، استيقظت هي قبله لتذهب وتبتاع بعض الملابس من إحدى الأسواق التجارية القريبة من الفندق، قام بعدها طه وذهب للأسفل ليدخن سيجارته اليومية مع فنجان من القهوة، ينتظر عودتها بفارغ الصبر، يشعر وكأنه أحبها من جديد.

مرت أكثر من ثلاث ساعات ولم تعد ملك، هاتفها أيضًا مغلق. بدأ القلق في الانتشار بأوصاله، اتصل ببعض زملائه من رجال الشرطة حتى اقتذ الفندق بهم، ولكن بلا جدوى، وبعد عدة ساعات دلف إلى الفندق عامل الاستقبال يحمل بين يديه علبة صغيرة وورقة مطوية مدهم إلى طه وقال:

- طه باشا.. أنا رجعت من الحمام لقيت دول على الباب برا والعلبة عليها اسم حضرتك.

جذب طه منه العلبة وما نال من الصاعقة إلا الثبات في مكانه بلا حراك.. بداخل العلبة رأس ملك، رأس تم فصلها عن جسدها، رأس عرفت ملامحها الحزن للمرة الأخيرة، وورقة كتب فيها: "كل غلط لازم يتصلح بطريقة غلط".





أفاق طه من ذكرياته على دموعه الساخنة تدفعه ليفيق من ألمه، عدة سنوات مرت على هذا اليوم والألم لم يقل أبدًا، جرح لم ولن يلتئم. قام من مكانه وهو يمسح دموعه واتصل بأحد الزملاء ليتأكد أن سيد ناموسة يجلس في زنزانته القذرة وحيدًا ينال ما يستحق من قهر وعذاب ووحدة، عذاب لن يضاهي بعض مما يشعر به طه في قلبه الحزين.

- إحنا متوصيين بيه يا طه باشا ما تقلقش، زنزانته مش بيدخلها النور.

- أنا عايزه يعيش اللي باقي من حياته يندم على اللي عمله ويشوف الموت في كل نفس بياخده.

في صباح اليوم التالي، اتجه طه إلى المقر ليقابل فريد بك، والذي قام بعرض بعض الصور لرأس ضحية الفندق الجديدة، وبعدها خرج من أحد أدراجه ورقة وضعها أمامه، كتب عليها ما أصابه بالذهول: "كل غلط لازم يتصلح بطريقة غلط".



- دي نفس الجملة ونفس الخط اللي كانوا موجودين يوم ما ملك اتقتلت. أنا لازم أقابل سيد ناموسة النهاردا يا فندم!

وبعد ساعة واحدة كان طه يجلس وجهًا لوجه مع أسوأ كوابيسه في غرفة التحقيقات.

- عملتها إزاي يا ناموسة؟

- سعادتك جاي تتسلى؟ هفضل أعيد لك كام مرة إن حوار مراتك دا كله ماليش دخل بيه!

- لا أنا دلوقتي مش بتكلم عن مراتي.. أنا بتكلم عن الست اللي اتقتلت امبارح.

رفع سيد يده في الهواء مشيرًا للأصفاد التي بين يديه وقال:

- أنا مش حاوي يا باشا، ولا الكلبشات مش باينة؟ أنا مرمي بين أربع حيطان ظلم.

- طب فسرها لي.. نفس المكان ونفس الطريقة وكمان نفس الجواب.. صدفة دي بروح أمك؟

- يا باشا روح دوّر لك على حد غيري، موت المدام خلى دماغك ترللي.

أمسك به طه وبدأ ينهال عليه باللكمات حتى تدخل



بعض الضباط وأخرجوه من غرفة الاستجواب، رحل طه وهو عاقد العزم على أن يعرف من هو شريك سيد ناموسة الذي يعاونه من داخل الفندق وينفذ أوامره بهذه الدقة وكأنه يتحرك بأيادي خفية من خارج زنزانته.





الإسكندرية – ٢٠٠٤..



عام كامل قد مر منذ أن تولى عيسى زمام الأمور وأصبح المالك الرسمي للفندق، تغيرت حياته تمامًا مع المنصب الجديد، تبدلت ملابسه وهيئته لتتناسب مع المالك الجديد لهذا الفندق العريق، استبدل الخمر الرخيص الذي كان يتجرعه بأغلى أنواع النبيذ الفاخر، كأفعى تغير جلدها تلون هو بمظهر لم يعهده أبدًا في حياته. أصبح يعلم معانٍ لأشياء لم يألفها من قبل، كالثراء والنوم المريح والسلطة، تحول ساحر الفقراء إلى مليونير بين ليلة وضحاها، تمامًا مثل الأفلام الرخيصة المكررة. وضع له مختار وصية عمه صوب عينيه، وافق بلا تفكير وقرر أن الحياة الرغدة ستكون اختياره، حتى وإن أتت محملة بشروط لا تهاون بها، وأصبح مختار من ساكني الفندق بغرفة خاصة به هي مسكنه ومكتبه أيضًا، كرّس حياته بأكملها لروح عائلة العلايلي وليبقى



إلى جانب عيسى في رحلته كصاحب فندق.

- الموضوع بسيط بس ممنوع يتجزأ، توافق على الوصية حياتك تبقى جنة بعدها.

- موافق على أي وصية وأي شروط..

لم ينسَ عيسى تلك الليلة عندما عاد إلى منزله لزوجته وطفله وفي يده وصية عمه، ظنت في بداية الأمر زوجته أنها خدعة من خدعه الرخيصة، إلا أنه قال وهو يحتضنها:

- خلاص يا حبيبتي، من النهاردا مش هحتاج أعمل حاوي عشان أعجب الناس، من النهاردا الناس هي اللي هتبهرني عشان تقرب مني.

- اوعى تكون الخمرة لحست دماغك يا عيسى!

بدأ في تحطيم كل ما طالته يده من أثاث وهو يضحك كالمجنون، تنظر إليه زوجته وهي تأمل ألا يكون قد أصابه مس أو جنون.

-خلاص، هتعيشي وسط عفش البشوات ومش هتشوفي تاني الروبابكيا اللي إحنا عايشين وسطها دي.. هتعيشي هانم تؤمري وتنهي وبس..







الإسكندرية – ١٩٨٥..



بجسده الضخم وشاربه العملاق، وقف عماد العلايلي ينتصف بهو الفندق والغضب يتطاير منه، وهو يصرخ في موظفيه بصوت شل حركة الجميع وهم يقفون أمامه في صفٍ كتلاميذ مذعورين يعاقبهم أستاذهم، الجميع يتملّكه الرعب في حضرته، لا يجادله أحد ولا يتجرأ أحد على التنفس وهو يتحدث وكأنهم في حضرة الموت ذاته.

- يعني إيه ماحدش شاف سِحر هانم؟ أنا كام مرة قولت إن سِحر أهم من اللي وراكم كلكم؟

اقترب من عم سامي حارس الفندق وهو يمسك بتلابيبه قائلًا:

- وانت يا سامي لو مش شايف شغلك تاخد حسابك وتغور من هنا!

- يا عماد باشا، والله الهانم الصغيرة ما خرجت من



باب الفندق، أنا حتى ما قمتش أروح دورة المياه!

- يعني الأرض انشقت وبلعتها؟ أنا بنتي لو ما ظهرتش دلوقتي حالًا هحبسكم كلكم.

التفت عماد لخطوات ابنته التي يحفظ صوتها عن ظهر قلب، تأتي صوبه على استحياء، وخلفها طفل في نفس عمرها تقريبًا، حاول أن يهدِّئ من روعه ويسألها بصوتٍ فشل في أن يكون هادئًا:

- كنتِ فين يا سِحر؟

- آسفة يا بابا.. كنت بلعب عسكر وحرامية مع حبيب..

- ويطلع مين سي حبيب دا؟

اقترب منه عامل الاستقبال الحاج سامي العجوز في تلجلج وقال بصوت مرتعد:

- ابني سعادتك يا فندم.

- وابنك بيلعب مع بنتي أنا؟ انت بقالك كام سنة هنا في الفندق؟

- أنا مع سعادتك من زمان يا باشا، السماح أرجوك.. عيل وصغير ومش عارف بيعمل إيه والله.

لم يعره عماد أي اهتمام، واقترب من الطفل والذي بدا



غير مكترث لهذا المشهد المهيب، وقال بعدما أسقط الطفل أرضًا بلطمة من يده الضخمة:

- الضربة دي عشان تفضل فاكر طول حياتك إنك ما تقربش من سِحر هانم تاني.

ثم نظر إلى الأب مرة أخرى، وقال وهو يتوعد:

- ربِّي ابنك، يساعدك في الشغل ماشي، لكن أكتر من كدا مش هسمح، يا أما هرميك برا القلب انت وهو..

أمسك بسِحر من يدها بقوة عائدًا بها إلى غرفتها، بينما ظل الطفل ينظر إلى عماد بكل ما عرف من كرهٍ وغضب.





عاد طه إلى الفندق مرة أخرى، حائرًا بين الماضي والحاضر، يكاد يقسم أنه يسمع صوت عزف علي البيانو الخاص بالفندق، ولكن لا أحد هناك! هو وحده تمامًا في تلك الساعة، ولا يوجد في بهو الفندق سوى حبيب، والذي يُدخن سيجارته في صمت مطبق، أيمكن أن تعزف الأشباح الموسيقى؟ تذكر وهو غارق في أحلام اليقظة أن عليه أن يمسك بطرف خيط واحد يساعده على استيعاب ما يحدث، عليه أن يعرف من يساعد سيد ناموسة من داخل جدران هذا الفندق اللعين.

أخرج من حقيبته نوتة صغيرة وبدأ في تدوين أسماء ووظائف العاملين بالفندق ليبدأ في رحلته.

حبيب، أو كما يسمي نفسه "حبيب القلب".

لا يوجد تاريخ بالسجلات التي حصل عليها طه موعدًا لقدومه الفندق، لا يوجد في الفندق بيانات عنه تذكر سوى أن الجميع يحترمه ويخشاه، هو الموظف الوحيد باستثناء صاحب الفندق الذي يحق له الاحتفاظ بنسخة من كل المفاتيح، حبيب عنصر هام مبهم في هذا المكان العجيب، ملامحه تنتمي لزمن آخر، يحمل بين طياته شيئًا مبهمًا لا يفهمه طه.

الست فل، عاملة المغسلة في الفندق، امرأة بدينة تعمل به منذ سنوات طويلة، تعتبر الفندق بيتها الذي لا تعرف غيره، لا تغادر المغسلة تقريبًا إلا في أوقات



الراحة، لا تتحدث إلى أحد ولا يكترث أحد لها، مجرد عجوز تقوم بمهامها ببطء لا يعترض أحد عليه، لا تمتلك في الدنيا سوى السبرتاية وعلبة السجائر.

بكير النوبي، شاب أسمر اللون، لطيف الطباع، يعمل موظفًا بأمن الفندق، يستقبل الجميع بابتسامه بشوشة لا يتخللها نفاق، تم حبسه منذ بضعة أعوام بسبب سيجارة حشيش، إلا أنه منذ الإفراج عنه وهو لا يقترب مما قد يؤذي مستقبله وحريته مرة أخرى، يحبه الجميع وعلى رأسهم الحاج وفيق.

الحاج وفيق، عامل النظافة، والذي يمتلك مفتاح رئيسي للغرف الشاغرة فقط، فقد وفيق لسانه في ظروف غامضة لم يتم ذكرها في السجلات، تعلم بعض الإشارات الخاصة بالصم والبكم لتساعده في متطلباته اليومية، ولكنه نادرًا ما يستخدمها لعدم معرفة أحد من زملائه بمعانيها، فيكتب لهم ما يريد أن يقوله في ورقة صغيرة، يستيقظ باكرًا ليقوم بتنظيف الغرف ومسح البهو الرئيسي، وبعدها يجلس إلى جوار بكير يحتسي كوب الشاي في صمت إجباري.

الشيف عنتر، طاهي الفندق والذي انتقل إليه منذ ما يقرب من العشر سنوات بعدما تذوق السيد عيسى طعامه في أحد المطاعم الإيطالية الشهيرة، طاهي بارع، ولكنه حاد المزاج يغضب سريعًا ودومًا في خلاف مع



الجميع، دائمًا ما يهدد مَن يغضبه بأنه سيبصق في طعامه أن لم يكف عن إزعاجه.

وأخيرًا، مالك الفندق ومديره السيد عيسى العلايلي، قعيد يتحرك بكرسي متحرك، إلا أن هذا لم يفقد من هيبته شيئًا، لكن لم يستدل على الكثير من المعلومات عنه باستثناء أنه يعيش في الفندق ولا يغادره تقريبًا، بل أنه حتى لا يغادر مكتبه إلا في أوقات قليلة، يعيش منعزلًا عن الناس إلا أن الجميع يهابه ويخشاه.

الجميع مختلفون، باستثناء أن جميعهم يسكنون فندق القلب السعيد ولا يغادرونه إلا نادرًا، وكأنهم ملعونون بالبقاء، ملعونون بحبس اختياري بلا رغبة في البحث عن الحرية.

جلس طه على فراشِه يتأمل صور هؤلاء الخمسة، لا يرى فيهم شيئًا غريبًا أو مثيرًا للريبة، ترى من منهم له علاقة بسيد ناموسة؟

وكعادته التي لا تتغير، اتصل بسيوني في تلك اللحظة المليئة بالأفكار والتساؤلات، يحمل سؤالًا بدا مضحكًا لطه بعض الشيء.

- عايز إيه يا قدري الأسود؟

- أصل نسيت أسألك، انت إزاي دخلت الفندق بـاسمك وشكلك؟ مش انت كنت هناك لما... كنت هناك قبل



كدا يعني..

- أنا لو عيل صغير مش هدخل الفندق باسمي يا بسيوني، ولو على شكلي، أعتقد إن طه أبو وش منور اللي كان ٩٠ كيلو وما بيعديش يوم من غير ما يحلق دقنه مش هيعرف طه بتاع دلوقتي أبو ٦٠ كيلو ودقن. انت نفسك يا فالح زمانك لما شوفتني أول مرة بعد العزلة كنت بتشبه عليا، فاكر يا أبو مخ تخين؟

- الواحد بيعجز قدام عبقريتك يا أخي.. بس بالله عليك قولي الدايت اللي خسسك ٣٠ كيلو دا عشان محتاجه ضروري عشان بفكر أدور على عروسة.

-اقفل يا بسيوني.. اقفل بدل ما أشتمك.





الإسكندرية – ١٩٩٠..



الأشياء تتغير، والبشر أيضًا، وسن المراهقة دق على أبواب سِحر التي تشعر دائمًا بضجر لا ينتهي ، أميرة هي أمام الجميع، سيدة القصر، ولكنها أميرة حبيسة الجدران والخوف ، خوف والدها من عالم لم يأمن له يومًا، عالم فقد فيه كل شيء أحبَّه. حاول كثيرًا أن يشغلها، يحملها مسؤوليات مبهرة لأي شابة في عمرها، ولكنها كانت تبحث دومًا عما هو أكبر وأهم من ذلك، هي لم ترَ الشارع أبدًا منذ طفولتها، يخبرها دومًا أبوها أن العالم خارج القلب لن يأتي لها إلا بالألم والشقاء، وأنها بداخل جدران القلب في أمان.

- مالك يا أميرة قلبي؟

- مافيش حاجة..

لم يقتنع عماد بردِّها فربَّت على كتفها وسألها مرة أخرى



بشيء من الاستعطاف:

- فيه حاجة مخلياكِ مش مبسوطة؟

- زهقانة .

- شوفي نفسك في إيه وأعملهولك، اطلبي عيوني لو حبيتِ.

- نفسي أبقى زي باقي البنات يا بابا.. أخرج وأشوف الدنيا!

- سِحر، كام مرة محتاج أقولك إني مش مستعد أخسرك زي ما خسرت أمك زمان؟ كام مرة محتاج أقولك إن العالم مكان قبيح بما يكفي أن يؤذي روحك!

- بس أنا مش هي.. ومش هقدر أعيش عمري مسجونة في القلب !

- القلب هو المكان الوحيد اللي هتبقي فيه عايشة في أمان، ومش عايز مرة تانية أسمع كلام في الموضوع دا، مافيش خروج يعني مافيش خروج!

شعر عماد بأن ابنته تحتاج إلى رفيق في حياتها، هي فتاة حساسة مفعمة بالمشاعر الجميلة والرومانسية، تشبه كثيرًا دانيلا في رقتها. يعلم تمام العلم أن الملل تسلل إلى قلبها، وهو أمر كان سيحدث مهما حاول هو أن ينكره ويتجاهله، فكّر كثيرًا حتى قرر أن يبتاع لها



كلبًا يرافقها ويقلل من شعورها الدائم بالوحدة والضجر. دلف إليها ذات صباح وهو يحمل جروًا صغيرًا من فصيلة تشاو تشاو، أحمر اللون، يخرج لسانه في سعادة، وبالفعل تهللت أساريرها فور أن احتضنت الكلب بين ذراعيها، بدأ الكلب أيضًا يلعق وجهها في اغتباط شديد، ابتسم عماد في رضى وقال وهو يبتسم:

- هتسميه إيه بقى يا روحي؟

قالت وهي تضم الجرو إلى صدرها في حنان:

- ممم.. هسميه حامي.. حامي القلب.

في الماضي، لم يكن عماد بهذا القدر من الجبن والرهبة من العالم، كان قويًا شجاعًا، لا يأبه العالم بأسرِه، فقط لأنها كانت معه.. دانيلا. كان وقتها شابًا لم يكمل الثلاثين ربيعًا، وكانت هي وحدها قادرة على إيقاظ روحه كل صباح، ظل لأعوام يتأملها بلا حراك، لا يعلم تحديدًا ما يجب قوله أو فعله، لم يعرف قبلها ما هو الحب، ظنه أسطورة لن تتحول إلى واقع، قبل أن يسقط غارقًا في عينيها.

كانت دانيلا الأجمل في الإسكندرية، تشبه السِّحر في تأثيره وإبهاره، ابتسامتها وحدها كانت كفيلة لتخلق له روحًا جديدة في كل مرة يراها، كانت دانيلا ترياقه وعالم كامل يريد اكتشافه وامتلاكه. ولكنه لم يدرك أن هناك



من يشاركه تلك المشاعر من قبله حتى، ولعبث الأقدار، كان هذا الشخص هو أخوه الوحيد فايز، كان عماد يكره أن أخاه شخصًا مبهرًا يحبه الجميع، وكان هو على النقيض تمامًا، شخص بسيط يتلعثم في الحديث، كان يعلم أن دانيلا تهتم بأخيه، شاهدهم أكثر من مرة سويًا يضحكون ويتحدثون، لم يأبه لمشاعر أخيه، ولم يكن يرى سوى هدفه الوحيد بالوصول لها بأي طريقة.

تقدم فايز أولًا لخطبتها، ولكن طلبه قوبل بالرفض، كيف لهذا المهرج -كما أسماه والدها- أن يتخطى حدوده ويحاول أن يتقرب من دانيلا الاستثنائية في كل شيء؟ أصاب فايز الحزن واعتصرت قلة الحيلة قلبه. وقتها عاد الأمل مرة أخرى إلى عماد، كان يعمل ليلًا ونهارًا بلا نوم أو هوادة، كان في بعض الأحيان يظل مستيقظًا لثلاثة أيام بلا راحة، حتى يجمع أكبر قدر من المال، كان حلمه وقتها هو شراء هذا الفندق القديم، والذي عرف أنه سيتم عرضه في مزاد خلال أشهر، وأن صاحبه اليوناني لوقا يريد أن يبيعه بأي سعر، لرغبته في العودة إلى بلاده في أسرع وقت، كان هذا تقريبًا في عام ١٩٧٧.

وفي خلال أشهر قليلة، جمع عماد مبلغًا لا بأس به، بالإضافة لبيعه لأسورة من الذهب كانت هي الشيء الوحيد الذي ورثه عن أمه، لم ينسَ أبدًا يوم المزاد بداخل الفندق، دلف إلى مقعده متوترًا لا يمتلك شيئًا



سوى بعض المال والكثير من الأمل، لم يكن ينافسه في المزاد سوى رجلين، أحدهما استسلم سريعًا، والآخر عندما استشف رغبة عماد في شراء الفندق بشغف لم يرَه من قبل حاول أن ينافسه بكل ما استطاع من مال، إلا ان الحظ -لسببٍ ما- كان حليف عماد هذا اليوم.

أصبح للفندق مالك جديد، وقف عماد في البهو ينظر حوله في ذهول وسعادة، كل هذا بات ملكه، وبينما هو غارق في فرحته، اقترب منه عجوز أحدب طلته غير مريحة بالمرة، يمد يده إليه قائلًا:

- مبروك عليك القلب يا أستاذ.

- اهلًا بيك!

- خدامك أنيس.. مع الخواجة لوقا من يوم ما مسك الفندق سنة ٥٠.

- أهلًا بحضرتك يا عم أنيس، يا ترى هتمشي زي ما باقي العمال مشيوا ولا هتفضل؟

- أنا راجل داخل على التمانين معاليك، ما أعتقدش هبقى مفيد في أي حاجة، بس ضميري يحتم عليا إني أحكي لك حكاية الفندق دا.

لم يهتم عماد بكلام العجوز، إلا أنه سأله بعدم اكتراث:



- إيه هي حكاية الفندق بقى؟

- الحكاية اللي مش هيقولها لك الخواجة لوقا، الحكاية اللي خليته يقبل يبيع الفندق بالسعر القليل دا.

أثارت تلك الجملة فضول عماد، إلا أنه حاول حتى اللحظة الأخيرة أن يظل مقتنعًا برأيه:

- الخواجة لوقا باع بالسعر دا عشان عايز يروح لعيلته اليونان، دا الكلام اللي أعرفه!

- شوف حضرتك، الفندق دا ملعون، وأي حد بيملكه حياته بتصبح جحيم، الفندق من يوم ما اتبنى سنة ١٩١٠ وحواديت ملاكه مفزعة.

قال عماد لنفسه أن سماعه لهذا المخبول لن يضر في شيء، قال لنفسه أن هذا الأنيس -حتى وأنه في الأغلب مراوغ عتيد- فحكاياته قد تكون شيقة، قد تستخدم كدعاية ذكية للفندق. دعاه عماد للجلوس، وبدأ العجوز في قصِّ ما لم يروِهِ لوقا.

- الفندق اتبنى سنة ١٩١٠ زي ما كنت بقول لمعاليك، على إيد الخواجة ألكسندر بتروس، أيام حكم عباس باشا حلمي، وساعتها اليونانيين كان عددهم في مصر كبير جدًا، وكان وقتها في مدرسة يوناني ومستشفى يوناني، كانوا دولة جوا الدولة سعادتك، الخواجة ألكسندر كان من اليونانيين الأغنياء، وسمعت من الخواجة لوقا



إن والده كان من أقرب الناس لكفافيس، وإن هو اللي ساعده يرجع من ليفربول مع عيلته سنة ١٨٧٦.

- واضح إن حكايتك عن الفندق اتقلبت حصة تاريخ يا عم أنيس!

- لا مؤاخذة، جاي لسعادتك في الكلام اهو.. الأرض اللي اتبنى عليها الفندق كانت في الأساس أرض مهجورة، الكل ما بيقربش منها رغم مكانها الاستراتيجي، بس الخواجة ألكسندر كان عنده بعد نظر، اشترى الأرض اللي كانت بتراب الفلوس من سمسار اسمه عزيز، وبدأ يبني الفندق، ساعتها كانت مراته الست ليدا لسه مخلفة، وهو يا دوب كام شهر لما الفندق اتبني، صحى في يوم من النوم على صرخة، الست ليدا انتحرت ورمت نفسها من الشباك.

- يا ساتر! ليه عملت كدا؟ واضح إنها ما كانتش سعيدة في حياتها أو جايز مخها خفيف!

- الخواجة لوقا كان يحكي ويقول إن والده ووالدته كانوا زي السمن على العسل وقصة حب كبيرة أوي سعادتك، بس هي اللعنة زي ما حكيتلك، طبعًا الناس عرفت باللي حصل والفضول أخدهم يزوروا الفندق اللي حصلت فيه جريمة، انت عارف الناس يا باشا وطبعهم، ولما اشتغلت مع السيد لوقا سنة خمسين، كان وقتها لسه عريس جديد، والمدام بتاعته الست روكسان لسه



مخلفة له ابنه فيليب، وهما كام شهر يا باشا والتاريخ عاد نفسه من جديد، الست روكسان طلعت في يوم على سطح الفندق ورمت نفسها منه، وقتها الخواجة بعت ابنه يعيش في اليونان وسط أهله، وكمل في الفندق لوحده، حاول يعيش ويحب بعد سنين طويلة، بس برضو حياته ما كانتش سعيدة، واهو خلاص بعد ما حس إن العمر جري صفى كل حاجة ورايح يعيش مع ابنه اللي باقي من حياته.

لم يكترث عماد لما قاله العجوز، فقال له مبتسمًا وهو يربت على ظهره:

- والله أنا حقيقي ممتن لمشاعرك الجميلة وخوفك على سلالتي، بس ما تقلقش، دول شكلهم عيلة مخها خفيف، وبعدين دي لعنة يوناني يعني مش هتأثر فينا.. سيب لي رقم تليفونك وبإذن الله أقدر أساعدك كل فترة باللي فيه النصيب..

لم يستطع العجوز أن يتمكن من عقل عماد، لم يرد الأخير أن يفكر في أي شيء سوى مستقبله، لم يكن يرى صورة أمامه وقتها غير صورة دانيلا، لم يكن يسمع إلا صوتها. وبعد تعب طويل، ابتسم الحظ له أخيرًا وأصبح بعد المزاد المالك الجديد لفندق القلب السعيد.

تقدم بعدها لخطبة دانيلا، وبالطبع وافق والدها ليزوج ابنته صاحب ملك كهذا، في بادئ الأمر لم تستسغ دانيلا



عماد تمامًا، كانت تراه منطويًا خجولًا إلا أن حبه لها غيّر كل شيء.

تفانيه في معاملتها واهتمامه بكل تفاصيلها جعلها ترى فيه قدرًا جميلًا وقلبًا رقيقًا، وأحبته بكل مشاعرها بفعل حبه لها، لم يتمنَّ شيئًا أكثر من سعادتها، فعاشا أجمل ما في العشق.

ولكن، في يومٍ ما، تبدّلت حياتهم تمامًا..

بدأ طه تحقيقه في هدوء، مدَّ مكوثه بالفندق أسبوعًا آخرًا، وكان لهذا الفعل أثرًا مفعمًا بالتباهي من جانب عامل الاستقبال حبيب، والذي قال وكأنه عثر على كنز علي بابا:

- كنت متأكد إنك مش هتسيبنا أوام كدا.

بكير، شاب مبهج، ابتسامته كفيلة بتحسين المزاج، نحيل الجسد، يرتدي دومًا حلةً حمراء وقبعة بنفس اللون، يستقبل القادمين بابتسامة صافية، يفتح الأبواب للصغير قبل الكبير، قليل الكلام وكثير الابتسام، وهي المعادلة الأفضل في الحياة. تبادل طه معه أطراف الحديث فور شروعه في تحقيقه الخفي، سأله عن أحوال النوبة وأسوان وعن عائلته، فأجاب الشاب بكل بشاشة بأن النوبة تنتظر قدومه وأنه بكل تأكيد سيسعد بزيارتها، هم أهل الكرم بلا منازع. ولكن، ألم يقل الشاعر: "إذا



رأيت أنياب الليث بارزة... فلا تظن أن الليث يبتسم"؟

من مراقبة طه له، اكتشف أن هذا الشاب غامض بعض الشيء، ينظر حوله كثيرًا، كمَن يبحث عن شيء ما، يغيب في أوقات محددة من اليوم يعلم جيدًا أنها ساعات ميتة لنزلاء الفندق، حيث لا يدخل أو يخرج أحد وقتها.

في اليوم الثاني، اختفى ساعة كاملة، ليظهر بعدها وثيابه وأنفه ملطخان بالدماء، وفور عودته خرج له حبيب ممسكًا بتلابيبه وهو يشير إليه بإصبعه مهددًا في غضب. ترى، ما سر هذا الشاب؟!

حاول طه ذات صباح أن يتسلل إلى المطبخ، إلا أنه لم يفلح، انتظر عنتر بالقرب من الباب الخلفي للفندق بعد انتهاء ساعات العمل، تبعه خلسة حتى وصل به إلى زقاق متناهي الصغر، كان في انتظار عنتر رجل ضخم البنية أشبه بالمجرمين، فتح له عنتر حقيبة ظهره وأفرغ محتوياتها في حقيبة أخرى يحملها هذا العملاق، ليعطيه بعدها الرجل بعض الأوراق المالية قبل أن يرحل كل منهما في طريقه.

من الواضح أن الأسرار تحيط موظفي هذا الفندق العجيب!

حبيب كان أمامه طوال الوقت، يبدو مريبًا إلا أن أفعاله كانت رتيبة، يبتسم ببطء، يتحرك ببطء، وحتى كلماته



تخرج من بين شفتيه برتابة تدفعك إلى صفعه عشرات المرات. يمكث حبيب طوال اليوم خلف الـ "كاونتر"، يبتسم، يحاسب ويسلم مفاتيح، ولا شيء غير ذلك، يجلس مكانه وكأنه عصفور حبيس قفصه بلا حراك أو تغريد.

وفيق، العامل العجوز، يحضر بانتظام إلى غرفة طه كل صباح لينظفها كما يفعل مع باقي الغرف الساكنة، يبتسم له في ود وينتظره بشرفة الغرفة حتى ينتهي منها، ويعطيه بعض المال، والذي يقبله العجوز في ود على استحياء. سأله طه يومًا عن كيفية فقدانه للسانه، فأشار الرجل بحزنٍ إلى أعلى قاصدًا النصيب والقدر، طه رغم كل شيء شعر تجاه العجوز بالأسى.

- شكلك في الفندق هنا من زمان يا عم وفيق!

فهز رأسه وفيق موافقًا بابتسامة لم يستسغها طه، إلا أنه سأل شيئًا آخر من باب الفضول:

- يعني ما فكرتش تمشي في يوم أو تشوف شغل في مكان تاني؟

أخرج وفيق من جيبه نوته صغيرة مهترئة وقلمًا رصاص متناهي الصغر، ورسم بيت صغير ووضعه أمام أعين طه.

فُل، بشوشة غامضة وقليلة الكلام، شأنها شأن الجميع هنا، ذهب إليها طه بمعطفه لتقوم بتنظيفه، ليتجاذب



معها أطراف الحديث داخل المغسلة..

- حضرتك تقدر تستريح في غرفتك وهجيب لك الجاكيت لحد عندك.

- مافيش مشاكل، أنا هستنى معاكِ عشان مستعجل عليه.

- اللي تشوفه حضرتك.

- بقالك كتير بتشتغلي هنا يا ست فل؟

ابتسمت وقالت بفخر لم يجد له مبررًا:

- أنا من السكان الأصليين للقلب حضرتك.

تعجب طه من الوصف فقال متسائلًا:

- السكان الأصليين للقلب؟

- أنا هنا من أيام عماد باشا الله يرحمه، وكل اللي بدأ معاه من زمان الباشا سماه ساكن أصلي، زي الهنود اللامؤاخذة الحمر.

كتم طه ضحكته وقال:

- وفين باقي السكان الأصليين التانيين بقى؟

- حال الدنيا.. الاستعمار لازم يطول القلوب والأماكن.

- على كدا الأستاذ عيسى من السكان الأصليين؟



- عيسى باشا راجل محترم.. عصبي ساعات بس اللي يعيب في صاحب الأمر يبقى قليل الأصل.

دقائق قليلة وانتهت هي من تنظيف المعطف، شكرها طه وهو يدس في يدها بعض النقود، ليتركها بعدها ويرحل، إلا أنه في قرارة نفسه يشعر ان تلك السيدة تحمل في جعبتها الكثير من الأسرار والحكايات.





الإسكندرية – ١٩٩٤..



فوق سطح الفندق، جلست سِحر تحرك قدميها في الهواء، إلى جانبها مسجل كاسيت يخرج منه صوت عمرو دياب يدندن في غبطة، وعلى يمينها جلس كلبها حامي مستلقٍ في سعادة يشوبها الكسل، وهي تربت على رأسه في ود. اقترب منها حبيب في دلال ليقُبلها خلسة على وجنتها.

- لم نفسك يا حبيب.. ولا أخلي حامي يعضك!

- لا خلي الأستاذ حامي مرتاح.. وحشتيني!

- بقالك كذا يوم مش بتيجي الفندق ليه؟

ابتسم وهو يخرج لها من جيبه شريط كاسيت يحمل صورة حميد الشاعري:

- جيبتلك شريط حميد الجديد، ويعدين دا هو يوم واحد



اللي أخدته إجازة!

- ما انت عارف اني بفضل قاعدة متضايقة وانت بعيد يا حبيب، أنا خلاص اتخنقت من المكان دا.

قام حبيب من مكانه وقال وهو يضحك:

- وهو فيه أجمل من المكان دا! عايشين أنا وانتِ في الفندق زي اللي عايشين على جزيرة.

- انت مش حاسس بأي حاجة، بتعرف تاخد إجازة وبتدخل وتطلع وقت ما تحب.. بس أنا طول حياتي ما شوفتش الشارع، بحر إسكندرية يا دوب أسمع عنه وبس أو أشوفه في الصور.

شعر بالإحراج لعدم مراعاته شعورها، لينظر إليها حبيب في أسى وهو يضمها إليه، ثم قال بتحدٍ:

- سِحر، الأسبوع دا مش هيعدي إلا وانتِ شايفة البحر على الطبيعة وواكلة جيلاتي عنده كمان.

- إزاي بس؟ أنا لو هوبت ناحية باب الفندق بابا ممكن يقتلني فيها، ولو شافك انت كمان معايا هيقتلك.

- الموت تمن قليل أوي قدام إني أشوفك مبسوطة يا سِحر.

قام بعدها حبيب من مكانه وأخرج من جيبه كرةً صغيرة، وبدأ يلعب بها مع حامي الذي قفز متهللًا فور



أن رأى الكرة تتحرك يمينًا ويسارًا، وسِحر تراقبهم في حب.



الإسكندرية – ٢٠١٠..



للوقت أسرار لن يكتشفها البشر يومًا، تنام وانت شاب مقبل على الحياة، لتستيقظ في اليوم التالي وقد تمكن منك الشيب. مرَّ على توليه إدارة الفندق سبع سنوات، سبع سنوات من تفاني عيسى في تنفيذ الوصية بحذافيرها وفي إدارة هذا المكان المفعم بالأسرار. سنوات وتفاصيل اليوم لا تتغير تقريبًا، يستيقظ عيسى في السادسة ليبدأ في مباشرة عمل المطبخ في إعداد الفطور للنزلاء، يراقب جودة كل شيء ولا يتهاون في أي شيء مهما بلغ من الصغر. بعدها يبدأ جولته اليومية بين أقسام الفندق، يتأكد من هندمة ملابس موظف الاستقبال وحارس الفندق، الحذاء يجب أن يكون لامعًا نظيفًا، القميص مكوي ونظيف، يشدد دومًا عيسى على حتمية الاستحمام بشكل يومي.

- أنتم جزء من عالم مصغر اسمه القلب السعيد، وأنتم



سكان العالم دا. عشان كدا لازم تكونوا وجهة تشرف، لازم القلب يفرح بوجودكم زي فرحتكم بوجودكم جواه.

عيسى ورغم كل شيء، لم تكتمل سعادته يومًا ، شيء ما ينقصه، هو لم يشعر يومًا بالسعادة منذ أن تولى هذا المكان، يمتلك كل مسببات السعادة والرخاء، إلا أنه لم يعد يشعر بالسعادة كما كان يفعل في حياته السابقة، يشتاق لهتافات الأطفال في فقرته السحرية، يشتاق لسهرِه في حانة ثروت متجرعًا زجاجات البيرة وهو يدندن أغانيه المفضلة، يشتاق لشعوره بالحياة، روحه أصابها الجمود منذ أن خطت قدماه هذا المكان. شعور غريب يتملكه بأن هذا الفندق يلتهم روحه رويدًا، ينظر إلى صورته في مرآته، ولا يرى سوى تطور سلبي لانعكاسه. في عامه الرابع من توليه الفندق فقد ابنه الصغير في حادثٍ أليم، كان صغيره يلعب بكرته في المدخل الأمامي للقلب السعيد حتى سقط فوق رأسه تمثال ضخم كان عماد قد أوصى بصنعه يومًا ما لدانيلا، سقط التمثال بلا أدنى سبب فوق الصغير ليهشمه تمامًا. حاول وزوجته أنا ينجبا طفلًا آخر، أو على الأقل تخطِّي حزنهم، ولكنهما فشلا في الأمرين، وكأن الفندق أصابهما بالعقم وسلب منهما كل معاني السعادة في هذا العالم البائس.

- المكان دا زي ما أخدت منه فلوس وملك، أخدت منه لعنة مش لعنتي.



بعد وفاة الصغير، تبدَّل عيسى تمامًا، أصبح يقوم بمهامه بنفسٍ لاقت حتفها، لا يغادر مكتبه إلا نادرًا ولأهم الأسباب فقط. ولم يكن ما حدث هو كل ما أصابه من لعنة .



الإسكندرية – ١٩٩٨..



لا يبق الدود بوضعه الثابت الممل طوال حياته، طبيعة الكون تجعله يتطور مع الزمن، يأخذ وقته الكافي للنضوج حتى يتحول في آخر الأمر إلى فراشة تحلق بعيدًا لأي مكان تألفه وتستسيغه. كانت سِحر هي فراشته، نقطة ضعفه وحبه الأول والأخير، كان دومًا يقول جملته الأشهر لها: أنا مش حابسك، أنا بحميكِ من الدنيا يا سِحر.

مرت أربع سنوات منذ أن بدأت سِحر في التمرد على حياتها وواقعها، بمساعدة حبيب بالطبع. بحكم عمله في الفندق بات يعرف جيدًا مواعيد وأوقات السيد عماد، وبناءً على ذلك أصبح يعلم تحديدًا متى يمكنه أن يخرج سِحر من الفندق. بدأت في اكتشاف العالم معه، عالم لم تكن قد سمعت عنه شيئًا من قبل، أصبحت تنتظر نزول الأفلام الجديدة بصالات العرض، أصبحت ملمة بأماكن



السمر، أصبحت حتى تتسلل وحدها في بعض الأحيان وصولًا إلى الشاطئ لتتحدث قليلًا مع أمواجه، ومِن ثمَّ تعود إلى غرفتها والسعادة تغمرها.

سعادة مقسمة تمامًا لشعورها بالحرية المفقودة، ولكونها متمردة للمرة الأولى في عمرها، ولكن الفراش كائن لا يعيش طويلًا، فأمام جماله الخلاب، عمر قصير.

في إحدى الليالي، كانت سِحر تستعد للخروج بعدما تأكدت من غياب والدها عن الفندق لعدة أيام، تزينت بفستان قرمزي زادها بهاءً وبهجة، بينما كان حبيب ينتظرها أمام الباب الخلفي للفندق، كانت تمشط شعرها وهي تدندن مع عمرو دياب وهو يغني "قلبي المفتون مجنون بيكِ.. آه يا أول غنوة بغنيكِ" في غبطة، وبعد دقائق معدودة كانت في طريقها إلى حب حياتها الوحيد، حبيب.

توجهت كما تفعل منذ أربعة أعوام إلى سلم الخدم، ومنه إلى الباب الخلفي، وإذ سرعان ما شعرت بيد تجذبها بكل قوة من شعرها، لم تفهم تحديدًا إحساس الرعب الذي تملكها، هل يكمن في اكتشاف سرها، أم لأنها المرة الأولى التي يتجرأ أحد على فعلٍ كهذا! استدارت في رعب لتجد نفسها وجهًا لوجهٍ مع أبيها والذي كان بالفعل أشبه بمارد مريع.

- بتستغفليني يا سحر!



لم يمهلها ولو لحظات للرد، بدأ في جذبها من شعرها ليأتي الموظفون جميعًا وهم يركضون صوب صياحه في ذهول، حاول بعضهم الاقتراب إلا أن جملةً واحدة منه كانت كفيلة بإبعادهم تمامًا.

- اللي هيفكر يتدخل مش بس هرفده.. أنا كمان هقتله.

أمسك ابنته من ذراعيها حتى وصلا إلى غرفتها، أغلق الباب بكل قوته حتى أنه أحدث شقًا به، ومن ثمَّ دفعها إلى أريكتها وقال بغضب مهيب:

- عمري ما صدقت إنك ممكن تكسريني، العالم كله حاربني وكنت دايمًا ببقى أقوى منه، جاية انتِ دلوقتي عايزة تعملي فيا كدا!

- يا بابا أنا ما عملتش حاجة.. وما بقيتش صغيرة!

اقترب من شرفتها وقال وهو يشير إلى الشارع:

- إيه اللي في العالم دا محتاجاه؟ هناك هتعيشي من غير تمن، هناك الناس هتحاول بكل طريقة تدمرك، انتِ هنا عايشة ملكة وبرضو بتهربي من ملكك!

- أنا مش عايزة أكون ملكة يا بابا.. مش عايزة أكتر مني إني أعيش زي أي بنت.

- بس انتِ مش زي أي بنت يا سِحر.. انتِ أميرتي.. افهمي!



- أنا مش عايزة أبقى أميرتك.. مش عايزة!

كان ردها صادمًا مؤلمًا، شعر وكأنه قد مات للتو، أخرج من بنطالِه مسدسه الصغير، وأشار به لابنته وقال باكيًا:

- انتِ مستحيل تكوني سِحر!

دموعه تنهمر، لا يفهم أو يستوعب تحديدًا ما يحدث في تلك اللحظة، هل فقد أميرته للتو؟ هل سِحر أصبحت حقًا شخصًا آخر؟ كيف لها أن تحطمه إلى قطعٍ صغيرة من الزجاج المتناثر؟ قطع تقطعه هو وحده، تمزقه بسكينٍ تلم.. كيف لها أن تسلبه ما تبقى من روحه؟ كيف لها أن تقتل بيدها دانيلا مرة أخرى؟

- أنا بحب حبيب وهنتجوز ونسيب مملكتك دي، دلوقتي بس عرفت ليه ماما انتحرت، الموت أكيد أريح بكتير من إني أعيش مسجونة في القلب.

- أنا صح، انتِ فعلًا مش سِحر، انتِ مش البنت اللي وهبت عمري كله ليها وضيعت سنيني بحاول أحميها من العالم.

- كفاية بقى يا بابا، بجد كفاية! العالم مكان طبيعي، العالم المرعب اللي مليان وحوش دا في دماغك وبس، انت مريض!



بدأ عماد في صراخه غاضبًا، وبدأ في الاقتراب من ابنته بعنف، مما جعل حامي يتحرك على الفور باتجاهه، قفز حامي لتلامس حوافره وجه عماد ليخدشه في عنف، صوب عماد فوهة سلاحه لتستقر الرصاصة الأولى في جسد الكلب الذي سقط صريعًا في الحال، صرخت سِحر في فزع وبدأت في البكاء وهي تلقي باللعنات في وجه أبيها. ابتسم عماد في أسى قبل أن يضغط زناده. مسدسه الصغير كان كفيلًا بإنهاء حياة هذا الفندق الذي أصابه الظلام منذ تلك اللحظة، ظلام كان كافيًا لئلا ينير القلب مرة أخرى.

هبط عماد الدرج بعدها باحثًا عن حبيب، رأس الأفعى كما يراه هو، سالب روح ابنته، هو جحيمه ولعنته، كما يراه هو. أمر بإغلاق أبواب الفندق، وبكل ما عرف يومًا من سخط بدأ يصيح باسمه:

- حبيب!

بأقدام تحمله على استحياء، تقدَّم حبيب لمكان وقوف عماد صامتًا في حضرة الموت.

- انت مش هتموت يا حبيب، انت هتعيش وتفضل عايش بذنبها اللي باقي من سنين عمرك.

لم يجد حبيب ما يقوله، أعين عماد كانت كفيلة بإلجام حواسه.. إلى الأبد.







في مطعم الفندق العتيق، جلس طه يتناول فطوره المكون من كوب شاي بالقرنفل ورغيف من الجبن، وهو يتصفح جريدة الصباح المعادة أخبارها، ليستقبل مكالمة هاتفية صباحية يعلمها جيدًا، بسيوني بالطبع. لم يكن يعلم أن لبسيوني توقيت يضاهي شهرته توقيت جرينتش.

- خبر بمليون جنيه..

- مش عايزه، خدهم انت يا سيدي.

- اسمع بس.. حزر فزر مين طالب يقابلك!

- مين يا شيريهان؟

- سيد ناموسة.

وفي خلال ساعة، كان طه جالسًا أمامه في غرفة التحقيق، وجهًا لوجهٍ مع أكثر من كره يومًا من الكائنات، الناموسة الوحيدة التي لم يتمكن حتى الآن من سحقها بيده. لا يقطع صمت الجو سوى دخان سيجارة طه. مد يده بسيجارة لسيد بملامح جامدة تمامًا:

- سيجارة؟

أخذ سيد السيجارة في هدوء وهو يهز رأسه شاكرًا:

- مقبولة منك يا باشا.

- هات اللي عندك يا ناموسة..



- على الدوغري يا باشا.. أنا عايز أطلع من هنا.

- يا راجل قول كلام غير دا.. تطلع فين!

- بص معاليك، أنا مستعد أساعدك تلاقي القاتل، وأثبت لك إن الليلة دي كلها مش بتاعتي.

- وهتعمل دا ازاي يا شيرلوك هولمز؟!

- الست بتاعتي سعادتك، مراتي، بتشتغل في الفندق اللي ما يتسمى، وأكيد عندها معلومات أو حتى خيط يوصلك للحقيقة.

فكر طه قليلًا ثم قال بلا أدنى اكتراث:

- ما عنديش حاجة أخسرها يا ناموسة، همشي ورا كلامك وأشوف، ولو طلعت مظلوم اعتبر نفسك بايت في بيتكم.

تعجب طه عند علمه أن زوجة سيد ناموسة هي فل المسكينة عاملة المغسلة بالفندق، كيف لها أن تتزوج من مجرم حقير مثل هذا!

- فل هتيجيلي بكرة زيارة، ساعتها هرسيها على كل حاجة وأقولها تساعدك.

كانت تلك جملته الأخيرة لناموسة قبل أن يتركه الأخير عائدًا إلى الفندق. في تلك الليلة، دلف إلى غرفته ليشعر حينها بشعورٍ غريبٍ لم يفهمه، شعر أنه يدلف إلى



بيته، شعور عجيب هو مزيج من الحنين والطمأنينة.

لماذا نتجرع الحنين لأماكن بعينها؟

لماذا نعود بإراداتنا لأماكن بعينها؟

لماذا لا نترك الماضي وراء ظهورنا؟

لماذا نختار بكامل إرادتنا أن ننبش في جرح قد يفتك بنا؟

طه لم يرِد العودة إلى عمله أبدًا، موت ملك جعله يسأم كل شيء، يزهد الحياة ولا تطول عينه سوى الموت في تفاصيلها، يعيش حياته مرتديًا نظارة سوداء تحجب النور والسعادة، بعد الأفق لبصره أصبح سراب، لم يعد يستطيع أن يشعر بأي شيء منذ رحيلها، لم يعد يستطيع أن يعيش كإنسان منذ أن فارقته.

نام بعمق تلك الليلة على غير عادة لياليه المفعمة بالأرق، زارته ملك مبتسمة تحمل بين طيات بسمتها كل معان الحنين واللهفة.

- أنا آسف.. أنا السبب.

- انت أحلى حاجة في الدنيا يا طه، اللي حصل ما كانش ذنبك.

- أوعدك إني هلاقي اللي عمل كدا.. بعدها مش عايز حاجة من الدنيا.



بدأت تغوص في كيان أسود يلتهمها ببطء، تصرخ بلا صوت، يسحبها الكيان بداخله كموت يستقبل حبيب قديم في أحضانه. استيقظ طه مفزوعًا والعرق يتصبب من جبينه ليفاجأ برجل غريب الأطوار على كرسي متحرك، يقف أمام فراشه في صمت مخيف.

- انت مين وبتعمل إيه هنا؟ دخلت هنا ازاي؟

- هدِّي أعصابك يا أستاذ. أنا عيسى العلايلي صاحب الفندق.

مسح طه عرقه بيده وهو ينظر إلى عيسى في استغراب:

- ويا ترى صاحب الفندق متعود يدخل على الناس وهما نايمين؟

- الناس عمومًا لأ.. الناس اللي بتصرخ آه.

- بس أنا ما كنتش...

تذكر الكابوس، فألجمه لسانه وعقله ليكمل عيسى كلامه:

- حد من العمال بلغني إن فيه نزيل بيصرخ جوا غرفته، خبطنا كتير عليك ما فتحتش، وفي النهاية عملنا كدا. فضلت جنبك، خوفت يبقى عندك صرع.



انتاب طه شعور بالإحراج، فقال بود:

- شكرًا لحضرتك على اهتمامك، أنا كويس ما تقلقش.

تحرك عيسى بمقعده إلى الوراء وناول طه زجاجة من المياه وقال:

- قول الحمد لله إن كوابيسك بتبقى وانت نايم مش وانت صاحي.

- أنا الحمد لله كوابيسي قبل النوم وبعده، الكوابيس جزء من شخصيتي.

- محتاج تفضي دماغك من أي ضغوطات، انت جاي اسكندرية فسحة ولا شغل؟

- عزلة.

ضحك عيسى ضحكة تحمل الكثير من الأسى بعدما سمع الرد وقال في حزن:

- كل اللي بييجي القلب بيبقى بيدور على حاجة من الاتنين، يا عزلة، يا إجابات، وللأسف مش بيطول حاجة منهم، وكأن اللي بناه رسم في تصميمه خيبة أمل في الحيطان والخشب.

شعر طه وكأنه هو من يتحدث، تخرج مشاعر الشجن من عيسى وكأنها نابعة منه هو، وكأن هذا العيسى ذاق من مرارة الحياة أبشعها.



تحرك عيسى عدة خطوات إلى الخلف، وقال قبل أن يغادر الغرفة:

- حاول تطرد كوابيسك، ما تسيبهاش تتحكم فيك.

لم ينم طه تلك الليلة، كان كل ما يشغله وقتها بداية التحقيق في صباح اليوم التالي، وحديثه المنتظر مع الست فل.



الإسكندرية – ١٩٩٩..



منذ تلك الليلة المشؤومة وفندق القلب السعيد أصبح فندق القلب التعيس، بكل ما يحمله المعنى من ألم. وكأن سحابة عملاقة هبطت عليه تلك الليلة وأبت الرحيل بعدها. كانت ليلة رأس السنة، الاحتفالات قد أُعدت مسبقًا في الفندق لمشاركة النزلاء بداية عام جديد، كان بالنسبة لعماد هو الأتعس في حياته، فهو عامه الأول في فندقه الذي يستقبل سنة جديدة بدون سِحر. اعتاد في تلك الليلة من كل عام أن يشتري لابنته فستانًا جديدًا للحفل، يحضر لها قطعة من الحلي لتتزين بها في مملكتها. يبدأ الحفل دومًا بمطرب، وبعدها يطلب عماد من عازف البيانو أن يعزف مقطوعة سِحر المفضلة، Mariage d'Amour والتي أصبح يكره سماعها بعدما فقد ابنته، أصبح يكره الموسيقى في المطلق، كل ما قد يشعل بداخله شعورًا أيًا كان أصبح يتجنبه تمامًا.



كان العمال يعلقون الزينة على استحياء، يعدون الحلوى والكعك في صمت، في حضرة الألم كان جميع العاملين مشفقين على ما حدث من أعماق قلبهم، ولكن إشفاقهم كان على سِحر، تلك الصغيرة التي لاقت حتفها لأنها أرادت أن تحيا، لأنها أرادت أن ترى الحياة بألوانها الحقيقية وليس بألوان عماد العلايلي.

أصبح عماد لا يغادر مكتبه أبدًا منذ تلك الليلة الملعونة، لم يتجرأ أحد على إبلاغ الشرطة، الجميع التزم الصمت، وهو حتى لم يأبه ليطلب منهم ذلك، أصبح أشبه بالمجاذيب في هيئتهم وحياتهم، ناسك مخبول يعيش بين أربعه جدران. الجميع يعرف هذا جيدًا، ما يحدث في القلب يبقى في القلب إلى الأبد.

دلف أحد العمال المخضرمين إلى مكتب السيد عماد ليطمئن عن أحواله، يعلم الأول أن ليلة كهذه لن تمر بسهولة، كخنجر تلم ستمزق أوصاله ببطء.

- عماد باشا، طمني على معاليك!

كان عماد يجلس على الأرض رغم ضخامة حجمه، حوله المئات من الصور الفوتوغرافية المبعثرة، كلها لسِحر. في يده استقرت زجاجة من نبيذ "شاتو لافيت روتشيلد" انتهى نصفها تقريبًا. رفع عماد رأسه للعامل العجوز بالتصوير البطيء، بشعرٍ أشعث وذقن غير مهذبة بالمرة، وقال كمن يخرج صوته من قبر:



- أنا مت..

- بعد الشر عليك يا باشا، حسك في الدنيا!

- مت يوم ما فارقتهم. أول مرة مت فيها كان يوم ما فارقت دانيلا، والمرة التانية يوم ما فارقت سِحر.

- كلنا هنا بنحبك، والفندق محتاج لك!

-الفندق ما قدمليش غير سلسلة من اللعنات، واضح إن الراجل المجنون ما طلعش مجنون، وكان عنده حق في كل كلمة قالها زمان!





(حبيب المريب)، هكذا أسماه طه، وكأنه بينوكيو بعدما دبت في أوصاله الحياة، كدمية خشبية هو في حركته وتعابيره، وكأن شخصًا يمسكه بخيوط غير مرئية، لا يثير الريبة إلا أنه يبدو مريبًا، نظراته تقول أن سرًا ما وراءه . يحب طه الناس الهادئين، إلا أن هدوء هذا الرجل كان مثيرًا للقلق.

- قولي يا حبيب.. ليه الفندق أغلب الوقت فاضي كدا؟ أنا قليل أوي لما بلاقي ناس عندكم!

- اللي بييجي الفندق يا زبون قديم يا واحد غاوي وجع قلب.

- عندك حق، أنا طول عمري بحب وجع القلب. بس يعني بما إن الرجل خفيفة على المكان والناس كلها بقت بتروح على الفنادق الجديدة اللي فيها حمامات سباحة، دا ما خلكش تفكر تسيب الفندق دا وتشتغل في مكان تاني؟

- مش يمكن أكون بحب الهدوء اللي المكان دا فيه؟ مش يمكن عايز أبعد عن دوشة العالم اللي برا؟ القلب على قد ما هو يبان هادي على قد ما هو مليان حياة، بس كل واحد وله الحياة اللي تشبه له.

حيَّاه طه في صباح اليوم التالي، وتوجه خلسة لأسفل الفندق حيث تجلس فل مع غسالتها ومساحيق الغسيل



والصابون، أصدقائها الوحيدين، وكأنها تبحث عن قدر من النظافة في حياتها مع سيد ناموسة.

- ازيك يا ست فل!

- سعادتك اللي حبست جوزي؟

- أفعال البشر هي اللي بتحبسهم يا ست فل مش البشر.

- أنا عارفة إن جوزي الشيطان ملازمه، وعارفة كمان إنه افترى على خلق ياما، بس صدقني يا بيه سيد مالوش دعوة بأي مصيبة حصلت في القلب.

- يا ست فل انتِ بنت حلال وطيبة، وعشان كدا عايزك تحكي لي، وكلمة شرف مني لو جوزك فعلًا بريء مش هيبات يوم واحد في السجن بعد ما الحقيقة تبان.

قامت فل من مكانها وأحضرت من داخل إحدى الغسالات القديمة صندوقًا خشبيًا، أخرجت منه سبرتاية، وبعض فناجين القهوة، وبرطمانات تحتوي على البن والسكر، وشرعت في إعداد بعض القهوة لها ولطه في هدوء، أشعل طه سيجارة من نار السبرتاية وناول أخرى لفل، والتي أخذتها منه في خجل لتبدأ كلامها قائلة:

- قبل ما أشتغل تحت هنا كنت المربية الخصوصي لسِحر هانم الله يرحمها، كنت أنا اللي بعملها كل حاجة



من يوم ما دانيلا هانم ماتت، وقتها سِحر كانت بنت الخمس سنين تقريبًا، وكنت أنا برضو لسه شابة بنت خمستاشر، أبويا جابني من البلد عشان أشتغل في الفندق، بس لما الست دانيلا ماتت بقيت أنا اللي باخد بالي من سِحر. كانت اسم على مسمى، اللي يشوفها ويحبها يتسحِر بيها وبحلاوتها، كانت عكس عماد باشا في كل حاجة، وأولهم إنها كانت قريبة من العمال، واللي ما فضلش منهم إلا أنا وعم وفيق وحبيب الصغير.

- وهو كان فيه حبيب كبير؟

- حبيب الأب الله يرحمه، فص ملح وداب زي ما بيتقال كدا بعد الليلة المشؤومة، وابنه حبيب الصغير هو اللي موجود دلوقتي، حبيب الأب كان بيحب الست سِحر الله يرحمها وكان هو السبب في إن أبوها يقتلها، ناس كتير بيقولوا إن حبيب الصغير ابنه منها، وإنه اتولد قبل موتها بسنة، وإن أبوه خباه برا الفندق، وناس تانية بيقولوا إن حبيب كان متجوز ومخبي على سِحر، وإنه لما حبها ساب مراته، وماحدش عرف أبدًا الحقيقة فين ولا حبيب ده تبقى أمه مين، بس عيسى باشا بيعتبره دراعه اليمين وبيثق فيه كأنه ابنه.

- غريبة إنك بتحكي عن قتله لسحر وكأنها حاجة عادية!

- كل واحد عمل حاجة في حياته بترجع له يا بيه،



عماد باشا الله يرحمه كان القط اللي أكل عياله عشان يحميهم، وماحدش كان يستجري يفتح بوقه بكلمة.

تعجب طه لفلسفة تلك العجوز، كيف لأي إنسان أن يبرر القتل والدم؟ سحب نفسًا من سيجارته وسألها:

- طب وعم وفيق، إيه اللي حصل للسانه؟

- زي كل اللي طالتهم لعنة القلب سعادتك، كان بيمسح سلالم الفندق في يوم مشؤوم، وقع على وشه قسم لسانه نصين، الفندق دا يشبه الدنيا سعادتك، زي ما بيدي زي ما بياخد.

- طب وبالنسبة لبكير النوبي والشيف عنتر؟ ليهم علاقة بأي حاجة؟

- بياكلوا عيش، ومافيش إنسان ما عندوش خطايا، وعيسى باشا ورث من عمه الإدارة والنظام، عيلة العلايلي مولفين على القلب.

- طب بصي يا ست فل، أنا كل يوم هجيلك تحكي لي في الوقت الهادي من اليوم، أرجوكِ حاولي تحكي لي كل حاجة وتساعديني عشان أقدر أساعد سيد. لو حرية جوزك تهمك أرجوكِ ما تخبيش عني أي حاجة تعرفيها.

عاد طه إلى غرفته، وهو لا يشغل باله سوى هذا الفندق العجيب، اهو يحقق في الجريمة التي عاد بسببها



من عزلته؟ أم يبحث عن ثائر قد لا يأتي لزوجته؟ أم يغوص في أعماق فندق امتلأ عن آخره بأشباح الموت والماضي.





الإسكندرية – ٢٠١٥..



في ساعات فراغه، كان يتسلل عيسى إلى تلك الغرفة المغلقة بالفندق، غرفة امتلأت بألعاب الخفة والسحر الموروثين عن أبيه الراحل. غرفة خصصها عيسى لتكون ملاذه من عالم القلب السعيد، فقط حينما يغلق بابها ويدلف إلى عالم فايز العلايلي يستعيد روحه مرة أخرى. نظر إلى صورة أبيه المعلقة على حائط الغرفة، وابتسم في حب مغلف بالحنين، كان يرتدي حلة سوداء وقبعة طويلة وينظر إلى الكاميرا في زهو وفخر:

- وحشتني يا ملك السِحر، فين أيامك يا عم فايز يا جميل؟ كدا تسيبني وتمشي وأنا فوق كتافي كل الهم دا؟ أخوك الله يرحمه ما سابش حد إلا وأذاه، استكتر عليك حب حياتك، واستكتر عليا أفضل عايش مرتاح البال، بس أنا برضو ضعفت قدام الفلوس والأكلة الحلوة والنومة النضيفة، الله يرحمك يا أبويا.



امتلأت الغرفة بالعديد من الرفوف والتي اصطفّ عليها العشرات من ألعاب وأدوات الأب، أوراق كوتشينة، حبال ملونة، عصا سحرية، مناديل معقودة، والكثير من الخواتم والملابس التنكرية، بالإضافة إلى العشرات من الحقائب التي امتلأت عن آخرها بأدوات وألعاب تخص عمله. أشعل سيجارة وبدأ يغوص في مقتنيات والده، فقط في هذا الوقت كان يجد راحة باله وكيانه المفقود. بداخل إحدى الحقائب، وجد صورة بالية لأبيه وعمه عماد، كانت تلك المرة هي الأولى التي رأى فيها صورة قطبي عائلته سويًا، أخين جمعتها الحياة وفرقهما حب دانيلا.

في الماضي، كان فايز يحكي كثيرًا لعيسى عن دانيلا، دانيلا التي سرقها عماد بلا أدنى اكتراث لمشاعر أخيه الوحيد، كان يصف جمالها لعيسى، يحكي له عنها وعن تفاصيلها الاستثنائية، ويحكي كيف استطاع عماد بمكره أن يحصل عليها رغم تمام علمه بأنها تحب أخيه ولم يحب هو غيرها. ما زال صوته يعاد في أذنيه وهو يقول له:

- أنا حبيت أمك الله يرحمها، بس ما حبتش حد زي ما حبيت دانيلا، هي اللي كانت المفروض تبقى أمك، لو كنت اتجوزتها كنت خليتها سعيدة، لو كنت اتجوزتها كان زمانها لسه عايشة يا عيسى.



يوم وفاتها كان الأوعر في حياة فايز، استقبل خبر موتها كصاعقة هبطت فوق رأسه لتملأ حياته بغيوم وأعاصير لم تنتهِ، كان هذا اليوم أيضًا بداية مرضه وتعبه الشديد.
حكى له عن ذهابه للمرة الأولى والأخيرة إلى فندق القلب السعيد، واقتحامه مكتب عماد، استقبله عماد بدموع وضعف بينما لم يجد في المقابل من فايز إلا كل الغضب والسخط، لامَهُ، بصق في وجهه، أهانه، وظل يعيد على مسمعه جملة واحدة:

- لو ما كانتش مراتك ما كانتش ماتت!

حكى له أنه توسل لعماد بعدما صب غضبه عليه بأن يترك له سِحر لكي تعيش معه، إلا أنه رفض وطلب من العاملين أن يلقوا بفايز إلى الشارع، ومنعه من دخول الفندق للأبد لتكون تلك الليلة هي المرة الأخيرة للأخوين في اللقاء.





في شروق اليوم التالي، استيقظ طه مبكرًا، ارتدى ملابسه، غادر الفندق وظل على الجانب الآخر من الشارع ينتظر أن يقوم بكير من نومه. وفي تمام السابعة ظهر بكير يرتدي ملابس العمل الحمراء الخاصة به وهو يتمطى استعدادًا لاستقبال يوم جديد. نظر حوله ليتأكد من أنه غير مراقب بعدها بدأ يتحرك بعيدًا عن الفندق، وبعده بعدة خطوات بدأ طه في متابعته خلسة، في إحدى الحارات الصغيرة وقف هذا الهزيل أمام قطعة خرسانية بدت داكنة بفعل سائل متجلط، استشفَّ طه بأنها دماء، نظر بكير حوله يمينًا ويسارًا ثم أخرج من جيبه قطعة من القماش ووضعها داخل فمه لتكتم صوته، ليبدأ بعدها في حمل تلك القطعة وضرب نفسه بها، يضرب رأسه مرة وأنفه مرة أخرى، يضرب بها قدميه ورسغيه، ومع كل ضربة كان طه يسمع صوت صرخته المكتومة، فيتأثر ويخاف لهاذا الفعل غير المنطقي والصادر من شاب ظنه هادئ الطباع رائق المزاج. الدماء تسيل من جسده، فتلتحم مع حلته الحمراء، فتظهر وكأنها جزءًا من لونها وتفاصيلها.

دقائق قليلة مرت ليتوقف بعدها بكير عن فعله المريض، ويتحرك بعدها إلى مكانه أمام الفندق، وقف طه على مقربة منه مستترًا خلف حائط إحدى البنايات ليشاهد غريب الأطوار هذا، والذي بدأ في غلي بعض الماء فى غلايته الكهربائية ليخرج له حبيب والغضب



يتطاير من عينيه قائلًا:

- اسمع يا جدع انت، مش كل شوية هلاقيك متعاص دم بالمنظر دا!

- دول شوية عيال ولاد أبالسة بييجوا يحدفوا طوب ويعوروني.

- مش بالع حكاية العيال دي يا بكير، مش عارف ليه، لا بسمع صوتهم ولا حتى بلاقي طوب حواليك.

بلع بكير ريقه بصعوبة وقال بابتسامة تحمل الكثير من الكذب:

- وهو أنا معقول أسيب الطوب مرمي! دا كان عيسى باشا خرب بيتي.

- أديك قولتها بنفسك، عيسى باشا لو بس شم خبر إن راجل الأمن بتاعه كل يوم والتاني يتضرب من شوية عيال هيقطع عيشك، وانت عارف القوانين، ولا إيه؟

- عارف، اللي بيسيب القلب مش بيرجع له من تاني.

عاد طه إلى غرفته يحاول أن يستوعب ما حدث، لماذا يفعل بكير هذا بنفسه؟ وجد أن أفضل حل لفهم ما يحدث هو الاتصال بصديق قديم هو الأفضل في مجال الطب النفسي.

- دكتور يونس، أتمنى ما اكونش بكلم حضرتك في



وقت غير مناسب!

- طه باشا، واحشني جدًا والله. أنا في إجازة طويلة فتحت أمرك.

حكى له طه ما شاهده، وعن بكير وتفاصيل شخصيته، والتي بدت له هادئة بعيدة تمامًا عن الأذى والغرابة.

- بص يا طه، أنا مش هقدر أشخص حالة من خلال تليفون، بس اللي بتحكيه دا في الأغلب أعراض إيذاء نفس غير انتحاري، وده معناه إن الحالة اللي بنتكلم عنها بيعاني من borderline personality disorder ، واللي بيعمله في نفسه دا أسبابه كتير أوي، منها شعور بالذنب، اضطهاد، فقد، هروب، وأسباب تانية كتير محتاجة مني كطبيب نفسي الوقت الكافي عشان أقدر أساعد وأفهم.

- الغريبة يا يونس إن طبعه لطيف ومبتسم، مستحيل تقول إن دا هو اللي بيعمل في نفسه كدا.

- صدقني انت لو حاولت تغيّر له مزاجه لأتفه الأسباب هتشوف شخصية تانية خالص قدامك، النوع دا من البشر كل اللي بيبقى محتاجه مجرد زقة صغيرة.

وكم كان يونس محقًا، بعد العاشرة بدقائق، هبط طه لمدخل الفندق، انعكاس أضواء النيون الحمراء جعلت المدخل أشبه بغرفةٍ لتحميض الصور الفوتوغرافية،



موحشة مخيفة بعض الشيء، بشرة بكير السمراء انعكس عليها اللون الأحمر، أظهرته بشكل مرعب قليلًا، كان يضع أمامه كوبًا من الشاي وفي يدِه سكينًا صغيرًا يُقطع به ثمرة فاكهة. قام من مكانه مبتسمًا لطه كما يفعل دومًا، ولكن وجهه لم يخفِ ملامح التساؤل عن سبب وجوده في هذا التوقيت وتلك البقعة الآن.

- أي خدمة يا باشا؟

- تسلم يا بكير، أنا قولت آجي أتطمن عليك.

- تطمن عليا؟ أنا زي الفل حضرتك.

- بص يا بكير، أنا بقالي كذا يوم بشوفك وبشوف بتعمل إيه، خليك معايا دوغري يمكن أقدر أساعدك.

لمحه طه بطرف عينه وهو يترك ثمرة الفاكهة بالطبق ويخبئ سكينه الصغير خلسة في جيب معطفه، ثم قال متوترًا:

- مين قال لك إني محتاج أي مساعدة؟

- اللي بيسبب أذى لنفسه بالشكل دا أكيد محتاج مساعدة.

- سيبني في حالي الله يكرمك، أنا عمري ما فكرت أضايق نملة.

- أنا مش عايز أعملك حاجة يا بكير، أنا محتاجك



تساعدني وتسيبني أساعدك.. خليني بس أحاول.

- وانت حضرتك تطلع مين؟ ساحر بيغير الواقع؟

- مش ساحر يا بكير، بس يمكن تلاقي عندي الحل!

بدأ طه في قص حكايته على بكير، والذي طلب منه أن يعطيه جوابًا قاطعًا في اليوم التالي إن كان سيساعده أم سينحاز لأسرار القلب. صعد طه إلى غرفته ودلف للفراش بعدما قام بتشغيل بعض الأغاني على هاتفه، أراح ظهره إلى الوراء قليلًا حتى رأى ملك تقترب منه وهي تبتسم بخطوات ثابتة خفيفة، كانت أشبه بطيفٍ شفاف يتحرك في الغرفة ذهابًا وإيابًا، تتمختر بفستانها في سعادة، كان يتابعها ببصره غير مصدق، حاول أن يمد يده ليلمسها إلا أنه فشل. جلست إلى جانبه وقالت بوجهٍ مبتسم:

- وحشتك؟

- وحشتيني أوي يا ملك..

- إيه اللي رجعك المكان دا تاني يا طه؟

ملك على حق، ما الذي أعاده إلى هذا الفندق اللعين؟ ألم يرتاح قلبه بعدما تم القبض على سيد ناموسة؟ ألم يشعر طه بأنه حقق العدل في العالم؟ أم هو يعلم في قرارة نفسه بأن شيئًا ما في تلك القصة ما زال غير



واضح وغير مفهوم، وأنه في أعماق صدره يشعر بأن من قتل زوجته ما زال حرًا ينعم بحريته.

- رجعت عشانك، رجعت عشان حسيتك بتناديني وأنا ما أقدرش أسمعك وما اجيش يا ملك.

- أنا عايزاك تبقى كويس يا طه، عايزاك تنسى، أنا هفضل دايمًا حواليك.

- حواليا ازاي وأنا ما شوفتكيش غير لما رجعت المكان دا؟ سنين عدت وأنا مستنيكِ تظهري في أي مكان، كل إنسان عرفته في يوم ومات بشوفه وبكلمه، الأموات عمرهم ما فارقوني، لعنتي وانتِ عارفاها من زمان. بس انتِ، انتِ الإنسان الوحيد اللي بكون نفسي أشوفه، وبرضو ما ظهرتيش إلا في الفندق دا.

ملعون طه، ملعون بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كلما فقد شخصًا فقد جزءًا لا يستهان به من روحه، كلما فقد شخصًا عاد هذا الشخص إلى حياته في صورة شبح يطارده في صحوه ونومه، الجميع يرحل موتاهم، إلا موتاه، باقون يلوحون له في سخرية ولا مبالاة، وحدها ملك منذ وفاتها وهي تأبى الظهور، وكأنها تعاقبه على شيء لم يفعله.

- صدقني مش بإيدي، أنا لو عليا عايزة أكون موجودة في كل أوقاتك، بس أنا روحي محبوسة في الفندق يا



طه.

- أوعدك إني مش هخرج من المكان دا لوحدي، يا إما هفضل فيه معاكِ.

أغمض طه عينيه وهو لا يتمنى سوى الرحيل من هذا الفندق، إلا أنه قد عقد القرار، لن يرحل قبل أن يعلم مَن فعلها، لن تنتهي اللعنة إلا بمعرفة الحقيقة كاملة، وهو لن يقبل إلا بالحقيقة كاملة، الحقيقة التي كلفته حب حياته.





الإسكندرية – ٢٠٠٣..



باهت مكروب جلس عماد في فراشه سارحًا في وحدته وتعاسته، يرتدي نظارة طبية لا تساعد على الرؤية بوضوح، تحاوطه الكثير من الأوراق المبعثرة كحياته. دقات على باب غرفته بالفندق تبعها مختار الذي دخل إليه مبتسمًا في كمد.

- طلبت تقابلني يا عماد بك؟

- تعالى يا مختار!

سحب مختار مقعده على مقربة من الفراش، وجلس بالقرب من عماد، والذي حاول أن يظهر قويًا متماسكًا.

- كنت بضحك زمان على الأفلام اللي فيها مشهد موت، كنت بقول عليها مشاهد غير منطقية، السنين دارت وبقيت أنا بطل المشهد يا مختار، وقاعد معاك بقولك وصيتي الأخيرة.



هربت دمعة من عين مختار إلا أن عماد أمسك بيده وربت عليها في حنان، وقال بابتسامة مهزومة:

- أنا خسرت كل اللي حبيتهم يا مختار، خسرت أخويا وخسرت مراتي وخسرت بنتي، حياتي سلسلة من الخسارة وعمري ما عرفت ألاقي الحل عشان أحمي حياتي من الفقد، الوحيد اللي فضل هو الفندق، عشان كدا عايزك تحميه وتحمي السر.

- طلباتك أوامر يا عماد بك، معاليك عارف إني الراجل بتاعك وهفضل مخلص لأوامرك لحد ما أموت.

- هو دا العشم يا مختار، عايزك تدور على عيسى ابن أخويا، أنا كتبت كل حاجة باسمه، تلاقيه وتفهمه كل حاجة، الوصية والورث، عيسى لازم يخلي القلب عايش يا مختار.. انت سامعني؟ عيسى لازم يكمل اللي أنا بدأته كله يا مختار.

على الحائط المقابل لفراشه استقرت ثلاثة براويز ضخمة تحمل كل منها صورة مختلفة، الأولى لعماد وفايز يرتديان ملابس صيفية خفيفة ويبتسمان في صفاء أمام شاطئ ما، الثانية كانت لعماد ودانيلا ليلة عرسهما وهو ينظر لها في حب، والأخيرة كانت لعماد وهو يحمل سِحر بين ذراعيه. صور تحمل كل ما امتلك، وكل ما خسر.



نظر إلى الصور في أسى ثم قال قبل أن يغمض عينه للمرة الأخيرة:

- أنا آسف .

عرف مختار من عماد قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة أن عيسى ابن أخيه يعمل ساحرًا في الملاهي وحفلات الأطفال، وأنه حسب قول عمه "حلانجي وبتاع ٣ ورقات" ويجب أن يتعامل معه مختار بعناية شديدة حتى يتملك أفكاره ويصبح ملكًا له وللقلب، للأبد.

كانت تلك الليلة التي فارق فيها عماد القلب بجسده بروحٍ أبت أن تغادر، وأبت أن يتحرر من بعدها الباقون من لعنتها.





في الصباح، توجه طه إلى المدخل الأمامي للفندق، كان بكير بكامل إشراقه على عكس العادة، لا تغرقه الدماء ولا ينتحب من أثر الألم، شعر طه ببعض الامتنان وهو يلقي عليه السلام بنظرة غاصت في معاني كثيرة.

- يومك حلو يا بكير؟

- فل يا باشا..

- فكرت في كلامي؟

- أنا معاك يا باشا.. وكل اللي أعرفه عن القلب هقوله لحضرتك، بس توعدني هتساعدني؟

- أوعدك يا بكير.. خلص شغلك وهستناك في القهوة اللي ورا الفندق الساعة ١2.

عاد بعدها طه إلى شريكته الأخرى داخل أسوار هذا الفندق، الست فل والتي بدأت في قصِّ حكاياتها لطه، وهو يستمتع بقهوة أُعدت له خصيصًا على السبرتاية، إن كان طه قد أدرك شيئًا في هذا الفندق فهو أن كل ما يحدث خلف جدرانه سلسلة واحدة مترابطة أحداثها بشكل أو بآخر. سيكتفى تلك الفترة بأن يمارس إحدى هواياته، الاستماع إلى البشر.

- لما سِحر ماتت، كانت بنت العشرين سنة، وأنا كنت تلاتين، هو الفرق بيني وبينها كان هو يا دوبك عشر



سنين، بس أنا كنت أمها وأختها وكل حاجة ليها في الدنيا ،البنت يا عيني كان حظها من الدنيا قليل أوي يا باشا.

- احكي لي أكتر عن سِحر يا ست فل..

- سحر من يوم ما اتولدت وأبوها عماد باشا شايف إنها مطمع للعالم كله، زي ما بيقولوا كدا بيخاف عليها من الهوا الطاير، وما يستحملش حد يبص لها حتى، كل الناس كانوا شايفين إنه حبها أكتر من روحه، بس لو تسألني أنا، هقولك إنه ما حبّش إلا الست دانيلا مراته الله يرحمها. دانيلا كانت روحه ولما ماتت بقى عايش زي الأشباح من غير روح.

- سمعت إنها انتحرت؟

- الفندق دا -اللهم احفظنا- ملعون، فندق ما يحبش ست تشاركه، عمرك شوفت حجر بيغير يا باشا؟

- والله منك نستفيد يا ست فل، يعني إيه فندق ما يحبش ست تشاركه؟ فهميني اللي بتقوليه!

- مش أنا اللي بقول حضرتك، دا التاريخ هو اللي قال.

قالت جملتها وهي تخرج من أسفل طاولتها الخشبية ألبوم صور مهترئ وقديم للغاية، امتلأ عن آخره بالكثير من الصور الفوتوغرافية، والتي تنتمي لأزمنة مختلفة



من هيئة وشكل وجودة الصور، ثم أكملت كلامها وهي تستعرض بعض الصور أمامه.

- دا الخواجة إسكندر اللي بنى الفندق، مراته ليدا ماتت منتحرة بعد ما الفندق اتبنى بشهور، ودا الخواجة لوقا ابنه برضو مراته انتحرت بعد أما مسك الفندق، والحدوتة اتكررت مع عماد باشا، ولحد عيسى باشا، عماد باشا خسر مراته وبنته وعيسى خسر مراته وابنه، وكمان خسر روحه واتشل.

- وانتِ مصدقة إن كل اللي بيحصل دا بسبب لعنة؟ دا التفسير الوحيد اللي وصلتِ له؟

- ساعات بنخاف نصدق حاجات معينة عشان نعيش مرتاحين البال، بس صدق ست كبيرة شافت في عمرها كتير لما تقولك إن المكان دا ملعون.

- طيب لو مش سيد ناموسة اللي قتل ملك ولا له دخل في الجريمة اللي لسه حاصلة، تشكي في مين يا ست فل؟

- من يوم ما سِحر ماتت وأنا المغسلة دي هي بيتي، بقضي الصبح في الشغل دا لو كان في شغل، وباقي اليوم بقعد مع سجايري والسبرتاية وصوت الست في الراديو يعني ماليش علاقة بحد، مش هقدر أفيدك.

- لو مش هتقدري تساعديني في الحاضر فساعديني



في الماضي، حواديتك أكيد هتساعدني يا ست فل.

شكرها طه على الحديث والقهوة، وتركها عائدًا إلى غرفته حيث كان في انتظاره ضيف مبتسم يجلس على كرسي متحرك، عيسى العلايلي شخصيًا.

- أهلًا بيك في الفندق..

- أهلًا بحضرتك.. طاهر.

عند تسجيل بياناته في الفندق، أعطى طه عامل الفندق بطاقة مزيفة كي يسكن القلب باسم مستعار، طاهر المصري، اسم قد يبدو ساذجًا للكثيرين، ولكنه وقتها لم يفكر في اسم أفضل من ذلك، هو لم يعد يهتم بـطَه كي يهتم بطاهر.

- عيسى، صاحب الفندق ومديره.

يبدو مخيفًا في تفاصيله، السواد أسفل عينيه جعله أشبه بمصاصي الدماء، شاحب اللون كمن لطخ بشرته بطلاء أبيض، يرتدي حلة فخمة زادت من غرابة هيئته المتناسقة جدًا مع رأسه الصلعاء، هزّ طه رأسه في ودٍ فأكمل عيسى كلامه:

- لمحتك طالع من المغسلة، كنت محتاج تغسل أي حاجة؟

- لأ أبدًا، كنت باخد فكرة عن الأسعار عشان لو حبيت



أغسل هدومي.

- وحتى لو كنت بتتمشى، القلب مكان مثير جدًا للفضول.

- زي النداهة كدا؟

- النداهة بتنده عشان تنهي حياة اللي بتناديه.. القلب بيحافظ جدًا على اللي جواه وعمومًا لو احتجت حاجة أنا تحت أمرك.

شكره طه وقبل أن يتحرك من مكانه أمسك عيسى بذراعه، وقال كمَن تذكر شيئًا هام للتو:

- مش حضرتك بتاع الكوابيس؟ اللي كنت بتصرخ من كام ليلة؟

- مظبوط.. شكرًا على اهتمامك.

- شكلك أحسن دلوقتي.. يومك سعيد.

هز طه رأسه شاكرًا إياه، بعدها رحل عيسى في مقعده، دلف بعدها إلى غرفته وهو لا يشغل باله سوى هذا العجوز غريب الهيئة، الوحيد ممن حكموا القلب ولم تكشف أسراره بعد.

هل لهذا القعيد يد فيما يحدث في فندقه؟ هل يتوارى خلف هذا الجسد العجوز سر دفين؟



الإسكندرية – ٢٠٠٣..



انتهت مراسم الدفن سريعًا وفي هدوء تام وكأنه بكل قوته وجبروته لم يتواجد يومًا على كوكب الأرض، كانت جنازة عماد العلايلي شبه خالية من البشر، فلم يحضر سوى العاملين بالفندق والسيد مختار محاميه الشخصي وصديقه الوحيد، جنازة حزينة شاحبة تشبه حياته تمامًا، لم يشهد عليها سوى قلة قليلة من البشر ولوح خرساني نقش عليه اسم زوجته وابنته وتاريخ وفاة كلا منهن، تحرك بعدها مختار مباشرةً لتلك الحانة الحقيرة التي يمكث بها عيسى بشكلٍ يومي ودائم حسبما عرف من مصادره الخاصة.

- لو دا مقلب يا أستاذ عرفني، عشان أنا مش بكره في حياتي قد العشم اللي بيطلع على فاشوش، وبعدين إيه حكاية الوقت المناسب دا؟ دايمًا في الأفلام يقولوا الكلمة دي وعمري تحديدًا ما عرفت امتى الوقت يبقى



مناسب لأي حاجة.

سكت مختار للحظات قبل أن يفتح حقيبته السامسونايت، والتي كانت مستقرة بين قدميه، وأخرج منها بعض الأوراق وناولها لعيسى بعدما تجرّع ما تبقى من كوب الشاي، وعيسى ما زال غير مصدق لأي شيء مما يحدث.

- اقرا يا فندم.. هتعرف إني لا بعمل مقلب ولا أي حاجة من الحاجات دي.

بدأ عيسى في القراءة، ومع كل سطر يمر أمام عينيه كانت تتهلل أساريره وهو يكبت بصعوبة شديدة دموعه، وفور أن انتهى من قراءة الورق كله، وضع مختار بين أصابعه قلمًا فاخرًا من الذهب الخالص، وقال بجدية:

- قبل ما تمضي على استلام ورثك، لازم تقرأ وصية الباشا الكبير واللي مش هينفع ما تنفذهاش.

- الوصية دي بتقول إيه سعادتك؟

- تقدر تقول إنها موافقة مطلقة على شوية شروط مرتبطين بالفندق والحياة الشخصية لعماد باشا الله يرحمه.

- معلش يا بيه اعذرني، تطلع إيه الموافقة المطلقة دي؟ أنا تحت الأمر، بس آخد فكرة يعني.



- يعني حياتك كلها هتبقى ملك الفندق وعماد باشا، حتى لو هو ميت، اللي هطلبه منك يتنفذ من غير تفكير ومن غير اعتراض، وفي المقابل هتبقى من أغنى رجال البلد، واللي هتحلم بيه انت وعيلتك هيبقى ملك إيديك.

- أنا خدام عماد باشا وفندق عماد باشا.

- خلاص بقي فندق عيسى باشا، أنا من النهاردا معاك خطوة بخطوة.

في الأيام التالية، تم تخزين كل الممتلكات الخاصة ومتعلقات عماد العلايلي في مخزن الفندق، وتم تنظيف وتحضير الجناح الرئيسي لاستقبال المالك الجديد، نظرات الانبهار اعتلت وجه زوجته وهي تتأمل أركان الفندق، وتلمس بيدها كل شيء كمَن يستكشف حاسة اللمس للمرة الأولى في حياته، أهيَ تحلم أم بالفعل هتبتسم لها الحياة كما قال زوجها؟

كان الطاقم بأكمله في استقبالهم، فل، حبيب، ووفيق، مبتسمين تعتلي وجوههم ابتسامة سعادة واحترام، أو ربما هي ابتسامة صفراء يرسمونها كي تستمر الحياة في القلب، لن تعرف أبدًا من يحبك بصدق ومن يخبِّئ خلف ظهره سكينًا ينتظر اللحظة المناسبة ليقتلك به.

السنوات تمر ليصبح هو والفندق كيانًا واحدًا لا ينفصل، كان عيسى يردد على العاملين رسالته اليومية



في كل صباح.

- أنتم جزء من عالم مصغر اسمه القلب السعيد، وأنتم سكان العالم دا، عشان كدا لازم تكونوا وجهة تشرف، لازم القلب يفرح بوجودكم زي فرحتكم بوجودكم جواه.

بعد وفاة ابنه بعدة سنوات، وبعد عدة محاولات فاشلة لإنجاب طفل آخر، تحقق المراد وتم الحمل، عادت في إحدى ليالي عام ٢٠١١، زوجته جميلة من الخارج مبتسمة، وفور أن رأته حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه وهي تقول بين دموع حجبت كلماتها.

- أخيرًا يا عيسي، أنا حامل، هجيب لك العيل اللي بتتمناه بقالك سنين.

- حبيبتي أنا مش مصدق نفسي، الحمد لله.. الحمد لله!

وقتها ظن عيسى أن اللعنة قد تركت حياته، ورحلت عن القلب أخيرًا، بدأ في تحضير غرفة الطفل المنتظر حتى أنه ذهب مع مختار ذات صباح وقاموا بشراء العشرات من لعب الأطفال ليزينوا بها الغرفة، طلب عيسى من زوجته ألا تبرح غرفتها أبدًا حتى تتم الولادة، طلب من فل أن تراعيها وتهتم بكل شؤونها، هيَّأ لها كل سبل الراحة والأمان حتى يأتي اليوم الموعود، إلا أن الرياح لا تأتي أبدًا بما تشتهي السفن.



خرج عيسى في أحد الأيام لحضور مزاد على بعض الأثاث الذي يحتاجه الفندق، توجّه بعدها لشراء بعض الورود لجميلته من محله المفضل "بافيون دي فلوريل"، عاد إلى جناحه الخاص، وفور أن اقترب من الفراش حتى رأى المشهد الذي على إثره شلت قدميه، كانت زوجته الحبيبة مقيدة يديها في الفراش، منحورة رقبتها والدماء تغرق الفراش بأكمله، بينما بطنها مطعونة عشرات الطعنات، كان المشهد مخيفًا، حتى أن عينيها امتلأتا بالخوف رغم أن الروح فارقتها. صراخه كان كفيلًا بتحريك جدران الفندق، احتشد الجميع أمام باب غرفته، الجميع غير مصدق ولا يستوعب ما حدث، البعض يصرخ والبعض ينتحب والجميع في ذهول مما حدث، مَن قد يفعل هذا؟ مَن قد يقتل روحًا طيبة تحمل بداخلها روحًا أنقى وأطهر. حضر مختار من غرفته في عجالة وهو يعدل من هيئة روبه المنزلي، صاح في الجميع فغادروا جميعًا لأماكنهم والذعر يعتلي ملامحهم، بعدها جذب عيسى من يده وهو يقول:

- اهدأ يا عيسى.. اللي عمل كدا هعرفه وهيتحاسب.

كان عيسى يبكي بقوة، خرجت الكلمات منه بصعوبة قائلًا:

- مراتي يا مختار.. أنا لازم أطلب البوليس.. مين اللي ممكن يعمل كدا!



- بقولك اهدأ.. وبعدين انت عارف كويس أوي إن البوليس ما ينفعش يدخل الفندق تحت أي ظرف.

- يعني إيه؟ أنا مش هسيب حقها يا مختار!

لم تعجبه تلك النبرة الحاسمة في صوته، فأمسك مختار بتلابيبه بكل قوة وصفعه على وجهه صفعة ألجمته وأسكتته تمامًا، تنفس بعدها قليلًا ثم قال لعيسى وهو يرخي قبضته:

- أنا حكيتلك قبل كدا إن الفندق دا ملعون، وحكيتلك كل الحواديت اللي حصلت هنا، وانت وافقت على كل حاجة، أنا ما خدعتكش يا عيسى، مدام جميلة قدرها كدا ولازم نسلم بيه.

- وحقها يا أستاذ مختار؟

صرخ فيه مختار بصوته الهادر قائلًا:

- هتاخد حقك من حيطان وطوب يا عيسى! فوق!

سلم عيسى لكلام مختار، سلم أخيرًا بعد سلسلة من الألم النفسي أن قدره هو القلب، والقلب لم ولن يرحم سكانه الأصليين أو حتى ضيوفه، سلم أن القلب عليل ولا علاج لعلته سوى أن يتم تركه للعناته وجرائمه.

سنوات تمر ببطء وكأنها ألف عام، وعيسى يتحول رويدًا بعد تلك الليلة إلى كائن بشع مخيف، في بداية



الأمر كانت لعنته هي الغضب، الغضب غير المبرر طوال الوقت ولأي سبب، غضب جعل الكثيرين من العمال يرحلون بلا عودة، ومَن بقيَ أصبح يكرهه سرًا أو على الأقل يتحاشاه، تمامًا كفأرٍ يسكن جحره ولا يغادره إلا للحاجة، وحده حبيب تعلم كيف يمتص غضبه ويداوي أحزانه، وكأن عيسى غرفة مغلقة لا يمتلك مفتاحها سوى حبيب.

سنوات تمر، والفندق لم يعد كما كان مع الوقت، وكأن آخر ما تبقى من وميض لهذا المكان انطفأ مع انطفاء عيسى، عيسى الذي دلف إلى القلب منذ عدة سنوات وهو مفعم بالطاقة والأمل يحمل بين ذراعيه زوجته وابنه، الآن لا يجد ما يحتويه سوى جدران القلب السعيد الذي أصبح الأتعس في تلك المدينة العجوز. تحول ساحر الأطفال اللطيف إلى ساحر لا يملأ قلبه إلا سواد السحر، ولا يلقي من التعاويذ إلا أبشعها، يناسبه تمامًا أن يمتلك فندقًا تسكنه الأشباح قبل البشر. عزاؤه الوحيد هو أنه كان يراها، يرى شبحها يهيم في غرفته كعصفور لا يغني سوى له وحده، عزاؤه الوحيد هو أنها غادرته، ولكن لم تغادر القلب، يراها ويسمعها، وينتظر اليوم الذي سيصبح شبحًا في عالمها، يكملها وتكمله.

-في يوم من الأيام هبقى معاكِ من تاني يا جميلة.. أوعدك.







في الصباح التالي، توجه طه بنصيحة من فل إلى منطقة وسط البلد، وتحديدًا في تلك البناية العتيقة ذات الثلاثة أدوار التي تقع أمام سينما أمير، صعد إلى الدور الأخير وطرق باب الشقة المقابلة للسلم، دقائق قضاها أمام الباب ينتظر أن يُفتح له الباب، ولكن بلا جدوى، وقبل أن يأخذ خطوته الأولى راحلًا، فتحت الباب سيدة عجوز تربط رأسها بإيشارب ملون، ظهر من تحته شعر يضاهي في بياضه أقوى أنواع مساحيق الغسيل، ملامحها تقول أن عمرها ألف عام إلا أن ملامحها كانت جميلة رغم طعنها في السن، ترتدي فستانًا أبيض بسيط، وتضع على شفتيها البالية أحمر شفاه، رفعت عينيها العجوزتين وهي تبتسم له، وقالت بلهجة مصرية ركيكة:

- انت عايز مين؟

- صباح الخير.. حضرتك مدام إستيلا؟

- أنا إستيلا، أنت مين؟

- أنا صحفي، بعمل موضوع عن الفندق اليوناني القديم، فندق القلب السعيد، وعرفت إن حضرتك كنتِ تعرفي صحاب الفندق الأصليين.

ابتسمت العجوز وقالت وهي تسحب طه من يده لشقتها بينما تقول في سعادة:

- عندي نبيت حلو خالص، تعالى تعالى يا أستاذ



صحفي.

شقتها من الداخل أشبه بمشهد من فيلم سينمائي عن الإسكندرية في فترة الخمسينات، في غرفة معيشتها استقرت ماكينة خياطة ماركة سنجر على طاولتها، وإلى جانبها العديد من علب السجائر ماركة "موراتي" اليونانية، والعشرات من بكرات الخيط بألوان متعددة، كان تلفازها الصغير يعرض فيلمًا لعبد الحليم حافظ ومريم فخرالدين. غابت لدقائق بعدما دعت طه للجلوس على أريكتها المكتظة بالعشرات من القطط، ثم عادت وهي تحمل بين يديها كأسين وزجاجة من النبيذ الأحمر على صينية، وتقول مبتسمة:

- فيلم حكاية حب دا نزل في السيما سنة تسعة وخمسين، روحته هنا في سيما أمير اللي قدام بيتي، بس وقتها كانت السينما شيك مش متبهدلة زي دلوقتي، كنت وقتها عندي ييجي تلتاشر سنة، الناس افتكروني مريم فخرالدين وكانوا عايزيني أمضي على أوتوغرافات، يوميها إسكندرية وقفت على رجل.

ثم سحبت من جانبها بروازًا قديمًا لشابة رائعة الجمال بعيون زرقاء وشعر أصفر يحبس الأنفاس من روعته، وهي تقول:

- بص إستيلا كانت حلوة ازاي؟ أحلى من مريم فخر الدين وزبيدة ثروت كمان.



- ولسه أحلى منهم يا مدام إستيلا.

- لوقا هو كمان كان دايمًا يقول كدا، يقولي يا إستيلا انتِ لو مثّلتِ هتبقي أهم منهم كلهم، وفي الآخر راح اليونان، وأنا من يوميها بستناه يرجع بس مش بيرجع.

- لوقا دا ابن الخواجة ألكسندر اللي بنى الفندق، صح؟

- لو قولت خواجة دي هنطلعك برا، إحنا اسكندرانية أكتر منك يا ابن امبارح.. إحنا عِشنا في البلد دي من قبل ما انت تتولد، ما شوفتش اسكندرية اللي بجد انتَ.

ضحك طه معتذرًا وطلب منها أن تُكمل حكيها:

- لوقا مسك الفندق بعد موت أبوه سنة خمسين، وفضل يديره لحد السبعينات، قبل ما يسيب اسكندرية ويرجع تاني على أتينا، ويسيب إستيلا تغني أهواك وأتمنى لو أنساك.

- احكي لي أكتر عن لوقا وعن علاقتكم وعن الفندق.. حابب جدًا أسمع من حضرتك.

صبت الكأسين حتى امتلأا لتتجرع نصف كأسها مرة واحدة، ثم عادت برأسها إلى الوراء وبدأت في سرد قصتها لطه المنصت في اهتمام.



الإسكندرية – ١٩٦٩..



إن كان للجمال البشري درجات، فتلك الفتاة العشرينية ستنال أعلاها بلا أدنى مجهود وبلا أي منافس، تشبه تلك الرسومات الشهيرة لآلهة الإغريق الذين كان يتم رسمهم عرايا، أو نحتهم كتماثيل تُزين أهم متاحف العالم، شعر ذهبي لامع براق يداعب خدها الوردي ويسحر المارة، جسد منحوت بعناية إلهية يحسدها عليه كل الأصدقاء وملامح كفيلة لتوقعك في غرامها في لحظات وكأنها أفروديت. كان لوقا يباشر مراسم الاحتفال بيوم العيد الوطني لليونان، مثلما ورث عن أبيه وأصبحت عادة في الفندق لم يتوقف عنها يومًا، تحول الفندق يومها إلى اللونين الأبيض والأزرق، وامتلأ البهو عن آخره بالضيوف والأحباب، الكل يضحك ويرقص ويحتسي النبيذ الذي كان يحضره لوقا خصيصًا من اليونان وينتقيه بعناية شديدة. ورغم أن الفندق كان



مزدحمًا بشكلٍ مبالغ فيه، إلا أن عينه استطاعت أن تلتقط هذا الجمال الفريد من نوعه بين العشرات من البشر، اقترب منها لوقا مبتسمًا وهو يعدل من وضع البابيون الخاص به، ثم قال بعدما قبّل يدها باحترام:

- لوقا ألكسندر.. صاحب الفندق.

- إستيلا أوناسيس.. تشرفنا.

- حضرتك تبقي بنت ستافروس أوناسيس؟

- مظبوط.

- والدك من أهم رجال الأعمال في اسكندرية، وإذا تسمحي لي يعني أقول إنك أجمل بنت في اسكندرية عيني تشوفها.

ارتبكت إستيلا من كلماته، فابتسمت في خجل وانصرفت من أمامه مسرعة، حاول اللحاق بها إلا أنه تراجع لتذكره أن الجميع يتابعه، هو الآن الأرمل الأشهر في المدينة ومطمع لكل فتاة يونانية في الإسكندرية، الكل يريد أن يوقع هذا الوسيم في شباكه، الكل ورغم سماعهم بلعنة القلب يريدون أن يمتلكوا القلب بكل ما به. مرت، الليلة سريعًا ليدرك بعدها شيئًا شديد الأهمية، لقد وقع في حب إستيلا أوناسيس. جلس في اليوم التالي مع مساعده وخادمه المخلص أنيس، والذي كان سره الآمن الوحيد في هذا العالم.



- شايل الهم ليه بس سعادتك؟ فين ضحكتك اللي بتنور حياتنا؟

- عشان حبيتها يا أنيس وخايف يحصل لها زي كل ست سكنت القلب، إستيلا لازم تعيش وتفرح بحياتها.

عاد بعدها لوقا إلى غرفته بعد حديثه مع أنيس، في الفراش كانت تنتظره روكسان زوجته الراحلة، تنظر إليه في حزن، تعلم تمام العلم أن بقلبه حب جديد الآن، تريده سعيدًا إلا أن حبها له كان أقوى من الحياة والموت أيضًا، نظر إليها دون أن يقول أي شيء، إلا أنها قالت في أسى:

- حبيتها لوقا؟

- حبيت فيها الحب اللي بدور عليه روكسان.. اللهفة اللي كنت زمان بشوفها في عيونك.

- أنا آسفة إني مشيت لوقا..

- كان نفسي تختاريني.. بس انتِ اخترتِ نفسك، اخترتِ تعيشي للأبد بس لوحدك.

لماذا انتحرت روكسان؟ من قد يقتل نفسه ليحيا للأبد؟ تلك كانت نظريتها المريضة. كانت دومًا ترى ليدا، والدة لوقا تتجول في أركان الفندق، كان الجميع يراها ويتعامل معها على أنها حية كل الحياة، لم تشِخ ولم



تتغير ملامحها على الإطلاق، شابة رائعة الجمال تتحرك بحرية كفراشة وحيدة في السماء. كيف لروكسان أن تغار من شبح؟ كيف رأت في الشبح حرية وحياة؟ كيف لها أن تختار موتها لتعيش للأبد كشابة في القلب عن أن تعيش مع زوجها وابنها الوحيد؟

أنهت حياتها بلا تفكير لتصبح مثلها مثل باقي أموات القلب، شبح هائم لا يكترث أحد لوجوده. شبح كل ما تركه خلفه هو ألم ولعنة لكل من أحبوها في يوم ما.

- انتِ مشيتِ من غير ما تفكري فيا.. ولا تفكري في كل الخوف اللي زرعتيه في قلبي بقيت أخاف أحب واللي بحبه يسيبني في وسط الطريق وألاقي نفسي من تاني لوحدي.. أنا بقيت أخاف من الأمان اللي بحلم ألاقيه مع حد يحبني ويخاف عليا.. بقيت أشوف إن اللي بحبهم أحسن يبقوا بعيد.. فراقك ليا شوهني وشوِّه معنى الحب جوايا.

لشهور كان يراها بشكل يومي، إستيلا، يقضي معها ساعاته ويبني معها ذكرياته، يتغزل ويبوح ويحاول أن يجعلها الأسعد بلا منازع، حتى شعر أنه لن يستطيع أن يعيش من غيرها، فقرر أن يختفي، أن يحبس نفسه في الفندق ولا يخرج منه أبدًا، ظلت هي تبحث عنه لشهور، بل ولسنوات، حتى فقدت الأمل من عودته، كانت كلما ذهبت إلى الفندق يخبرها أنيس أن لوقا قد سافر إلى



اليونان.

وبعد سنوات طويلة، قرر حقًا أن يبيع الفندق بأي ثمن حتى يتسنى له أن يعيش ما تبقى له من سنوات مع ابنه وعائلته في اليونان. حبه الاستثنائي له جعله يرفض تمامًا أن تروح هي ضحية هذا الفندق الملعون، والذي كرهه لوقا من كل قلبه.





أنهت إستيلا سردها للقصة وكأنها تعاد أمامها والدموع تنهمر من عينها الزرقاء الحزينة، قالت وهي تسكب ما تبقى من كأسها في الأرض:

- حبي اتسرسب من جواه زي النبيت دا..

- عمرك ما فكرتِ إنه فعلًا بعد عنك عشان خاف عليكِ؟

- أستاذ يا صحفي انت.. عمرك حبيت؟

- حبيت.. مرة واحدة .. الله يرحمها.

- لو كان بإيديك كنت هتسيبها تمشي؟ اللي بيحب حد عمره ما بيسيبه يمشي.

ثم أمسكت بيد الكنبة بكل قوة تعتصرها وقالت:

-بيتشعلق في اللي بيحبه كدا.. لوقا ما اتمسكش بإستيلا زي ما كان المفروض يعمل، مافيش لعنة في الدنيا أقوى من اتنين اتقابلوا وحبوا بعض، وبعد ما رسموا حياتهم سوا كل واحد ساب التاني يمشي من طريق تاني.







يكره طه الصباح، ويكره الصباح إن كانت بدايته بسيوني، ويكره الصباح إن كانت بدايته بسيوني يريد أن يطلب منه شيئًا ما. في صباح اليوم التالي لمقابلته مع إستيلا، استيقظ على صوت يد تفتح ستار الغرفة، فقام مفزوعًا يبحث عن مسدسه أسفل الوسادة، إلا أنه تراجع عندما رأى هذا الجسد المغطى بالشحم والعرق، والذي يعرفه تمام المعرفة.

- انت دخلت هنا ازاي يا بسيوني الزفت!

- أعرفك بنفسي، طارق المصري، أخوك يا طاهر يا مصري.

- حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا بسيوني انت وفريد باشا، هو أنا ناقصك؟ مش كفاية المخابيل اللي في الفندق دا؟

- يعني أنا الحق عليا إني جاي أساعدك؟ طب والله فريد باشا ما كان عايزني آجي، وأنا اللي قولت له أساعد طه واهو بالمرة أبقى ونس له.

- يعني أنا بقالي سنين عايش في عزلة، ويوم ما أطلع منها هتبقى انت نصيبي يا سيد قشطة انت.

نظر إليه بسيوني وقد أصاب وجهه الإحباط والخجل، فقام طه من مكانه وهو يحتضنه وقال:



- بس وعليا النعمة أحلى سيد قشطة فيكِ يا اسكندرية، هدخل أغير وننزل نفطر.

- اهو دا الكلام يا طاطا يا عالمي.

في المطعم، اقترب من طاولتهم عنتر الطاهي مبتسمًا بكل ما قد تحمله الابتسامة من صفار، ملامحه أشبه بقاتل مخضرم شديد اللزوجة والقبح، لا يتناسب جسده أو ملامحه مع كونه طباخًا يصنع مأكولات شهية لطيفة. طلب منه طه أن يعد له ولبسيوني بعض البيض والفول، وفور أن غاب عنهم، اقترب طه من زميله وهو يهمس له قائلًا:

- مش عايز حاجة تشغلك اليومين اللي جايين دول غير عنتر الطباخ، الجدع دا تصرفاته غريبة وأنا عايز أركز الفترة اللي جاية مع عيسى العلايلي، هتشرفني ولا لإيه؟

- عيوني، بس هو انت شاكك في صاحب الفندق ولا إيه؟

- الشغلانة دي علمتني أشك حتى في نفسي، مافيش حد في الفندق دا طبيعي يا بسيوني صدقني.

حكى طه لبسيوني ما قالته الست فل بخصوص عنتر وعن ماضيه الملطخ تمامًا كملابسه المتسخة دومًا.





- وعنتر يا ست فل؟ إيه رأيك فيه؟

- عنتر نابه أزرق ومش نضيف، عيسى باشا خرجه من قضية سطو مسلح من ييجي عشرين سنة ودفع له كفالة محترمة عشان بس يكسر عينه ويخليه من خدامه في القلب.

- هيطلعه من قضية ويدفع له كفالة عشان يطبخ له؟

- عنتر في الظاهر طباخ الفندق، بس الباطن أسود ومهبب.

حكت له فل عن هذا اليوم الذي طالما حكى عنه عنتر لباقي الزملاء بكل فخر في الفندق كلما أراد أحدهم أن يشتكيه لعيسى بسبب قلة ذوقه وأسلوبه الفظ معهم، يقول ضاحكًا في زهو:

- عيسى باشا يفرط في الكل ولا يفرطش في عنتر.

في هذا اليوم الذي تعرف فيه عيسى على عنتر، كان الأول محبوسًا يتم التحقيق معه في جريمة سطو مسلح،



دلف العسكري وهو يدفع أمامه هذا المسجون بملابسه البيضاء والمكبل بالكلبشات لداخل مكتب المأمور، والذي قام بدوره بأمر العسكري أن يفك قيد المتهم ليتركه وحيدًا مع هذا الزائر، جلس المتهم أمام زائره المجهول وهو في حيرة من أمره، فبدأ الكلام وهو يبتسم قائلًا:

- تحت أمرك يا باشا!

- عايز تطلع من هنا يا عنتر ولا عايز تشيل القضية لوحدك؟

- مين سعادتك يا باشا؟ وهطلع من هنا ازاي؟

- أنا عيسى العلايلي، وهتخرج من هنا ازاي دي بتاعتي أنا، بس الأول نتفق على عرض صغير.

- خدامك يا ملك!

- انت هتطلع من هنا على الفندق بتاعي، سكن ولقمة نضيفة ومرتب يرضيك ويكفي بيتك وفي المقابل اللي أطلبه منك تقول عليه أمين.. مفهوم؟

- يا باشا أمين من غير ما أعرف.. بقول لمعاليك أنا خدامك.

نظر بسيوني إلى طه وهو في حالة من الذهول مما سمعه للتو، وقال وهو يلتهم القضمة الأخيرة من شطيرته:



- إيه اللي يخلي واحد زي عيسى العلايلي يشغل واحد زي دا في الفندق؟ دا سوابق!

- لما بتبقى عايش في مجتمع نضيف وشكلك وسط الناس دي نضيف بتحتاج حد وسخ يعملك الحاجات الوسخة اللي بقيت ما بتعرفش تعملها بنفسك.





الإسكندرية – ١٩٧٨..



ظهر فايز بحلته السوداء البالية يبتسم إلى الجماهير السعيدة داخل المسرح في تلك الخيمة العملاقة للسيرك القومي، والذي كان يقدم بعض عروضه في مدينة الإسكندرية وقتها، ظل يلقي بالورود هنا وهناك والتصفيق له يشتد من جميع أركان مقاعد الجمهور، لم يشعر بالسعادة الكاملة أبدًا إلا وهو يقدم فقرته اليومية بالسيرك ويبهر الجميع كبارًا وصغارًا بخدعه وألعابه وخفة دمه، يعشق عمله ويفتخر بكونه "سيركاوي" مخضرم، يعشق تفاصيل عمله إلا أنه يعشق نظرات الانبهار في أعين الناس فوق كل شيء آخر.

انتهت فقرته وعاد بعدها إلى كواليس المسرح ليغير ملابسه ويرتاح قليلًا قبل أن يغير ملابسه ويبدأ في استئناف ليلته في أعياد الميلاد والحفلات الخيرية، وفور أن غادر أسوار الخيمة وجد شقيقه عماد ينتظره على



الجانب الآخر من الطريق، حاول فايز أن يتحاشاه، إلا أن عماد كان أسرع، اقترب منه مبتسمًا إلا أن فايز لم يقابله سوى بوجوم وبرود.

- وحشتني يا فايز!

- ما تشوفش وحش.. عن إذنك..

- ما يبقاش دمك تقيل، عايز أقعد معاك نتكلم كلمتين.

- ورايا شغل يا عماد، خليها وقت تاني.

أخرج عماد من جيبه حفنة من الأوراق المالية، ومد بها يده إلى فايز قائلًا:

- هديلك اللي انت عايزه بس نقعد شوية.

- خلي فلوسك في جيبك يا عماد وبلاش أخلي هلافيت السيرك يخلوا شكلك مش لطيف!

بعد محاولات عديدة، وافق فايز على مضض أن يسمع ما يريده أخوه، ليرحل بعدها من أمامه، جلسا سويًا في أحد المقاهي التي يعرفها عماد أشد المعرفة، ذلك المقهى تحديدًا كان الاثنين يقضيان أوقاتهما سويًا ،عندما كانا أخوين على حق.

- فاكر المكان دا؟ لينا ذكريات كتير فيه.. خسارة إننا بقينا زي الأغراب يا فايز!



ضحك فايز بسخرية ثم قال بعد تنهيدة طويلة:

- وإحنا عيال كنت دايمًا باخد بالي منك وأحميك، كنت تعمل المصيبة من هنا وتجري عليا وتقول يا فايز الحقني، وكنت دايمًا بعمل كدا، فاكر يوم ما انضربت عشانك ودخلت المستشفى يومين؟ ما كنتش زعلان وقتها صدقني، كنت فرحان إني خلصتك من اللي كانوا هيضربوك، وكان على قلبي زي العسل، طول عمري ضهرك يا عمدة وما كنتش بشتكي، طول عمري مش بحلم وبفكر ازاي أساعدك انت تحقق أحلامك، المرة الوحيدة اللي حلمت فيها كان إني أوصل للست اللي حبيتها سنين، حتى الحلم دا استكترته عليا يا ابن أمي وأبويا، بس عارف؟ أنا مش هلومك ولا هعاتبك، يمكن اللي حصل دا علمني إني أختار صح بعد كدا، ربنا يرزقك ويبارك لك. بس أنا هطلب منك حاجة واحدة، بلاش تفوت عليا تاني يا عماد، حاول تموت الحتة الصغيرة اللي باقية من ضميرك واللي بتخليك تيجي تدور عليا وتشوف أحوالي، اتبسط بالفندق وبحياتك، وقول لسِحر إن عمها بيحبها، بيحبها أوي.







مكالمة وصلته من السجن تطلب حضوره لمقابلة عدوه وأسوأ كوابيسه، اتجه طه للسجن حيث كان في انتظاره سيد مكبلًا في غرفة التحقيقات. كان الصمت سيد اللحظة، يزفر طه دخان سيجارته في ملل، بينما سيد ناموسة قابع في مقعده يطالع السقف في سكون، وكأن الأعوام التي قضاها ناموسة في السجن أفقدته ما تبقى من بريق الحياة، هادئ على غير عادته لا ينظر إلى طه ولا يبدي اهتمام. تدور العشرات من السيناريوهات في رأس طه، وأكثرهم إزعاجًا هي أن يكون هذا الحقير بريئًا ولم يرتكب جريمة القتل من قريب أو من بعيد.

- الست فل بتعزك يا سيد، بتساعد على قد ما تقدر.

- الله يبارك في عمرك يا معالي الباشا.

- قولي يا سيد، عمرك حسيت بحاجة غريبة في الفندق؟ أو الست فل حكيت لك عن أي حاجة غريبة كانت بتحصل؟

استأذنه سيد في أن يعطيه سيجارة، فابتسم له طه وهو يناوله إياها، أشعلها له وانتظر أن يبدأ في الحكي .

- المكان دا غلط يا باشا، إحنا عشرة قديمة ومش هحور على سعادتك، اليوم الأسود اللي قابلت حضرتك فيه هناك كنت بحاول أعرف سكة الخزنة فين عشان أقلبها، لما شوفت سعادتك ساعتها اتبرجلت وخلعت، ما



كنتش أعرف إن المصيبة أكبر من كدا بكتير.

- طيب لما كنت بتدور على الخزنة، مافيش أي حاجة غريبة لمحتها أو سمعتها؟ افتكر يا ابن الحلال عشان تخرج من هنا بقى!

وكأن الحياة قد عادت إليه فور سماعه لكلمة "الخروج"، أغمض عينيه المهلكة وبدأ في اعتصار عقله ليتذكر أي شيء قد يساعده ليخرج من هذا الكابوس للأبد.

- الليلة اللي قبل اليوم المشؤوم دا، كنت قاعد مع فل وبحاول أقنعها تسلكني جوا الفندق وهي راسها وألف سيف إني ما أوسخش في مكان أكل عيشها، فل معدنها نضيف وكانت بتسكت على عمايلي، بس وقفت لي لما قولت لها على الفندق، المهم بعد ما نزلت هي تاني يوم الصبح، نزلت روحت على هناك.

- أيوا احكي لي على اللي حصل هناك بدل حواديتك دي يا سيد الله يبارك لك.

- يا باشا أنا بقولك بالتفصيل، المهم دخلت في الخباثة وبدأت آخد الفندق طالع نازل بلف على المكاتب والأوض المفتوحة، الفندق زي ما سعادتك عارف حجمه كبير وعماله يا دوب يتعدوا على صوابع الإيد الواحدة، كنت باخد اللي فيه النصيب بقى إذا كان ساعة ولا



محفظة لحد أما طلعت الدور الأخراني، ألاقي لك بقى يا باشا الدور بيطلعك على باب بيوصل للسطوح، متقفل بأقفال ياما، ولسه هبدأ أحاول أفك فيهم، لقيت واحد مقرب مني بيزعق فيا ويقولي انزل من هنا.

- طب وإيه العجيب يا سيد؟ يا سيد أبوس إيدك افتكر حاجة عليها القيمة، مش تقولي السطوح مقفول واقفال على الباب!

- والله سعادتك دا كل اللي فاكره..

في تلك اللحظة رن هاتف طه، بسيوني يتصل دومًا في الصباح، أما هاتف الظهيرة فهي عادة جديدة لم يعهدها من صديقه المزعج ذو القلب الأبيض.

- طه انت فين؟

كانت تلك بداية المكالمة والذي لم يمهله بسيوني الوقت ليلقي عليه السلام حتى، بدا صوت بسيوني خائفًا أو قلقًا على غير طبيعته المائلة تمامًا للهدوء والمرح.

- خير يا بسيوني، فيه جديد؟

- طه، انت لازم تيجي الفندق حالًا! أنا عرفت حاجة مهمة هتساعدنا!

- ساعة وأبقى عندك.

شكر طه سيد على ما قاله من معلومات غير هامة



بالمرة وتحرك فورًا إلى الفندق، كان المدخل الأمامي مكتظًا بكثير من المارة الذين نسوا في الأساس وجود فندق القلب السعيد في هذا المكان، إلا أن ما رأوه استوقفهم وشل حركة يومهم، أصوات متداخلة ما بين صياح وبكاء واستغفار. أدرك طه بحسِّه أن جريمة جديدة قد وقعت في الفندق الملعون، اقترب قليلًا ليرى مشهدًا أسقطه على ركبتيه في الحال، أمام عتبة الفندق استقرت رأس بلا جسد لقتيل جديد، قتيل يعرفه طه أشد المعرفة، قتيل كان هو عادته اليومية وصديقه الوحيد، أمام أعتاب القلب استقرت رأس بسيوني المسكين، الذي لم يمهله القدر متسعًا من الوقت ليخبر طه عن السر الذي كشفه عن طريق الصدفة. ولا حتى ليعرف النظام الغذائي الذي اتبعه طه ليفقد كل تلك الكيلوجرامات. كان بسيوني ورغم كونه مصدر إزعاج طه الأول، صديقه الوحيد في هذا العالم المضطرب.

في خلال ساعة، كانت القوات تملأ الفندق، تحاوطه بشرائط صفراء، وقف العشرات من المارة خارج الفندق يختلسون الأنظار، اكتظ الفندق بمحققين ورجال الطب الشرعي وغيرهم من مختلف الأقسام، الكل يتحرك والكل يعمل، إلا أن الجميع ارتبكوا فور دخول فريد بك بوقاره وهدوئه الذي يصل في معظم الأوقات إلى حد البرود، لكن الغضب كان جليًا على ملامحه. جلس في إحدى الغرف الفارغة وطلب أن يقابل طه والذى



كان منهارًا تمامًا وقتها، يبكي في صمت على زوجته وصديقه الذين ضاعا بين ضلوع القلب.

- الباقية في حياتك يا طه.

اكتفى طه بهز رأسه في أسى، فأكمل فريد بك:

- من النهاردا كل حاجة هتبقى على المكشوف، تحقيقات رسمية مع كل اللي في الفندق دا، أنا مش هستنى أما حد تاني من رجالتي يروح.

- أنا فتشت الشارع والشوارع اللي حواليه، مافيش كاميرا مراقبة واحدة، زي ما يكونوا الناس كلهم هنا عايشين في زمن غير الزمن!

- الأوضة دي من دلوقتي غرفة التحقيق الخاصة بيك، الفندق مداخله كلها عليها حراسة وهيبقى في قوة في المنطقة مستنيين منك إشارة، قدامك يومين وتعرف مين اللي بيعمل كل المصايب دي..

-تعليمات سيادتك يا باشا.







الإسكندرية – ١٩٧٩..



اقتربت دانيلا وهي تحمل بين ذراعيها صغيرتها سِحر من باب الفندق إلا أن الحارس استوقفها وهو يطلب منها على استحياء ألا تغادر بوابة الفندق وإلا سيقطع عماد باشا لقمة عيشه من الفندق، ملامحها الهادئة تحولت إلى وجهٍ غاضب وبدأت في الصياح وهي تأمره أن يبتعد من أمامها.

- اتفضل امشي من قدامي حالًا! انت مجنون؟

- والله يا هانم دي أوامر الباشا مش ذنبي..

أصوات أقدامه تُحدث صدًى مزعج في البهو، اقترب عماد وهو يدخن سيجاره العملاق في غضب وقال بصوت الجم:

- لما عماد العلايلي يؤمر يبقى الكل ينفذ الأمر يا دانيلا هانم.



- بنتك تعبانة ولازم تروح للدكتور يا عماد!

نظر عماد إلى ابنته ليأخذها من ذراعي أمها وهو يطلب من عامل الاستقبال أن يأتي لها بطبيب ليراها في الفندق على الفور، وضع سِحر إلى جانب كتفه وبيده الأخرى أمسك بمعصم دانيلا ليصعدا جميعًا إلى جناحهم.

- أنا هفضل محبوسة هنا طول عمري يا عماد؟ إحنا من يوم ما اتجوزنا وانت رافض إني أخرج من الفندق!

- أنا عارف فين مصلحتك، برا مش هتلاقي غير ناس بتحاول تستغلك وتؤذيكِ، فاكرة من سنة العربية اللي كانت هتخبطك؟

- لو كل إنسان عربية كانت هتخبطه امتنع عن النزول العالم كله هيعيش في بيته يا عماد!

- وأنا مش هقولها تاني، طول ما أنا جوزك وانتِ مسؤولة مني كلامي هيتسمع، العالم مكان مخيف ومش هسمح لمراتي وبنتي يتعرضوا له، انتِ وسِحر واجبي إني أحميكم بالشكل اللي أنا شايفه مناسب.

صفع الباب وهو يغادر الغرفة ليتركها غارقة في قلة حيلتها وحزنها، تراجع نفسها وتسألها عن سبب طوَرّتها في تلك الزيجة التي لم تتمناها أبدًا، ظنت أن السعادة تكمن في المال، في السلطة والجاه، ظنت أنها ستجد ما



تتمناه في كونها سيدة القصر أو القلب في تلك الحالة، تناست أن العالم أكبر بكثير وأجمل من جدران تاريخية وأثاث فخم، تناست هذا المسكين فايز الذي لم يتمنَّ سواها في ذلك العالم، واختارت عماد الذي امتلك كل شيء إلا قلب حي ينبض بالمشاعر والرحمة.

يدخن سيجاره الكوبي في هدوء وهو يحرك أصابعه كمن يعزف على مفاتيح البيانو، عينه ثابتة لا تغادر موضع جلوس طه، يرسم على شفتيه ابتسامة مخيفة لثعلب ينتظر الانقضاض على فريسته، سحب نفسًا طويلًا، ثم قال بنفس الابتسامة العجيبة:

- تعرف ليه الفندق دا اتسمى القلب السعيد؟ عشان اللي بنوه وعاشوا فيه حسوا إنه سبب حياتهم، النبض اللي جواهم يا طه باشا.

- ما كنتش أعرف إن القلب بيموّت صاحبه!

- من أول يوم ليك في الفندق وأنا إحساسي بيقول إنك مش ضيف، انت جاي هنا لسبب.

- هو مش كل اللي بييجوا هنا بييجوا لسبب أو بيدوروا على حاجة؟

سحب عيسى نفسًا آخرًا من سيجاره، وقال وهو يعدل من جلسته في مقعده المتحرك:



- القلب دايمًا مفتوح للي بيدوّر على أمان أو ملاذ من العالم اللي برا.. بس عمره ما كان مفتوح للي بيدخلوه عشان يفتشوا عن أسراره.

- تعرف إيه عن الناس اللي اتقتلت في الفندق دا يا أستاذ عيسى؟ التحقيقات اللي قدامي بتقول إن من سنة ١٩١٠ لحد النهاردا في حوالي ٤ حالات انتحار و١٠ جرايم قتل، فندق دا ولا مشرحة؟

- القلب عالم، وفي العالم الناس بتموت يا باشا. وبعدين تحقيقاتك غلط يا باشا، الجرايم اللي حصلت في الفندق دا أكتر من كدا بكتير، بس القلب كاتم أسراره وبيحافظ عليها كويس، وصدقني كل اللي هتعمله إنك هتضيع وقتك وبس.

انتهى طه من تحقيقه مع عيسى وبداخله غضب كامن من برود هذا العجوز، فيلسوف متعجرف يتباهى بنظرته الحكيمة للحياة، يرى تلك الجرائم مجرد أمور طبيعية الحدوث داخل عالمه الخاص، يرى تلك الوفيات مجرد تضحيات كي يحيا القلب وكأن الوريد يضخ دم الأموات فقط.

دلفت بعده الست فل، والتي لم يكن هناك جديد لتقوله في جلستها مع طه، فقط سألها إن كان لديها رواية لم تسردها له بعد، إلا أنها أجابت بالنفي، أخبرته أنها قالت كل ما تعرفه وأنها متأكدة كل التأكيد أن بالقلب لعنة لن



يحلها أحد، وأن الموت سيظل يطرق أبواب الفندق ما دام بالقلب أيام باقية يعيشها.

عنتر، كان ضيف غرفة التحقيقات الأخير في تلك الليلة، قرر طه أن يقسم تحقيقاته على يومين كي يزيد من توترهم، يتمنى أن يكون التأخير والصمت حلفائه في تلك القضية الملعونة. جلس عنتر أمامه في برود كصاحب منزل ينتظر أن يرحل ضيوفه، هو ورغم كونه الأحدث، يعتبر نفسه من السكان الأصليين للقلب، ويرى أن عيسى وضعه في المرتبة العليا بهذا القلب، لم ينبس ببنت شفة حتى سأله طه في هدوء:

- بقالك كتير في الفندق يا عنتر؟

- سنين ياما يا باشا.. عيسى باشا بيعتبرني زي عياله.

قالها عنتر بفخر وكأنه يملك الفندق، اقترب طه منه ونظر إليه بشك وسأله:

- عيسى باشا يعرف إنك بتسرقه؟

انتفض جسده الضخم بعد سماعه جملة طه، وقال بصوت متحشرج حاول جاهدًا أن يظهر بصورة طبيعية:

- بسرق مين يا باشا! ما يصحش الكلام دا، إحنا ناس ماشيين دوغري..

- بلاش تشتغلني وحياة أمك يا عم عنتر، الواحد خلقه



ضيق وعايز يخلص.

- يا باشا بقول لسيادتك مافيش الكلام دا، لو بس عندك إثبات واحد...

لم يمهله طه وقتًا ليكمل كلامه، أخرج من جيبه هاتفه المحمول، ثم وضع أمام عينيه فيديو لعنتر وهو يقوم بهذا الفعل يوميًا، يخرج من الباب الخلفي بحقيبة كبيرة يفرغ محتواها في حقيبة الرجل الضخم، ثم يأخذ منه مبلغًا ماليًا ويرحل، تحول وجه عنتر إلى حبة من الطماطم من شدة الاحمرار، وقال وهو يتصبب عرقًا:

- بالله عليك يا باشا ما تجيب سيرة لعيسي باشا على الموضوع دا، لو عرف هيقتلني!

- اشرح لي بقى يا أبو العناتر إيه اللي في الفيديو دا؟ بتقطع الجثث وبتبيعها؟ عشان كدا عمال تقتل في جثث؟ يا راجل مش حرام عليك كدا؟

- لا يا باشا! جثث إيه يا باشا بس! دا أنا يا دوب ببيع اللحمة بتاعت الفندق للواد تحسين بتاع جنينة اللامؤاخذة الحيوانات، عشان يأكلهم للأسود واللباوي اللي هناك، أنا حرامي أهبل يا باشا والله دا آخري..

- لا يا عنتر، ما تقولش على نفسك حرامي، انت راجل قاتل محترف وفاهم بتعمل إيه كمان.



- يا باشا صدقني، هي لقمة عيش حلوة وبنلعبها أنا وهو بقالنا سنين، الحمير لا مؤاخذة يعني يا باشا سعرهم يجي ألفين جنيه، ياخد هو الفلوس عشان يروح يجيب حمار للأسود، يديني ألف وياخد هو ألف وبدل ما يشتري أديله من لحمة الفندق، والسبوبة ماشية بقالها سنين وبتعدي، مرة أديله فخدة، مرة أديله كتف، ولو مافيش أديله دستة فراخ والأسود بتاكل وتشبع وأنا وهو برضو بناكل ونشبع والدنيا آخر ألِسطة.

يعرف طه أن عنتر أغبى من أن يكون قاتلًا متسلسلًا، أو حتى قاتلًا مبتدئًا، مقدار ذكائه وتفاهته تجعله لا يتعدى كونه سارقًا، وهذا أقصاه، حتى إن حاول احتراف الجريمة. ورغم هذا يعرف طه أن بهذا المكان سر ما، وهو في الأغلب يكمن بداخل دهاليز السكان الأصليين جميعهم، وكأنهم أقسموا أن يحيوا حياتهم فداءً لهذا السر مهما كانت العواقب.

تحفظت الشرطة على كل عاملي الفندق ومعهم عيسي العلايلي في غرفهم بالفندق حتى يستأنف طه تحقيقاته في الصباح التالي، توجه هو إلى غرفته وعلى فراشه أغمض عينيه، حتى شعر بيدها تحركه وتوقظه من نومه في حبٍ ودلال، ابتسم فور أن شعر بلمستها، يشتاق إليها في كل الأوقات واللحظات، ولا يجد باليد حيلة حتى يراها ولو للحظات.



- وحشتيني يا ملك!

- صحيتك؟ شكلك تعبان أوي..

- كنت مستنيكِ تصحيني، بعد ما القضية دي تخلص أنا هاجي أعيش في الفندق دا بشكل دائم، مش هعرف من تاني أبعد عنك.

- مش هينفع تربط حياتك بواحدة ماتت يا طه، أنا روح.. مجرد روح!

- وأنا عايز أفضل مع الروح دي ما دام روحك يا ملك، خايف حتى لو وصلت لحل القضية ما تبقيش موجودة، عشان كدا أنا عايز أفضل جنبك هنا.

- حبيبي الموضوع بسيط، انت بس محتاج تبدأ تبص لبعيد شوية، صدقني ساعتها هتوصل للي انت عايزه.

لم تمهله الوقت كي يجيبها أو يفهم منها، فقط أخبرته أن ينظر إلى الأبعد لعله يجد ما يريد. أغمض عينيه والدموع تتساقط في أسى وهو لا يسيطر عليه إحساس آخر سوى الحنين.

في الصباح التالي، كان المتهمون الآخرون في انتظار طه أمام الغرفة التي خصصها للتحقيق، دنا منه حبيب في هدوءه المعتاد، لا تظهر على وجهة أي تعبيرات تذكر، فقط جلس أمامه ينتظر من طه أن يبدأ في كلامه.



- تفتكر مين اللي قتل الناس دي كلها يا حبيب؟

- أكيد حد بيكره القلب وعايز سمعته تبقى في الأرض.

كان رده منطقيًا مفعمًا بسخافة ظهرت جلية في صوته، فسأل طه سؤالًا آخر ليكتشف نوايا هذا الرجل العجيب شكلًا وموضوعًا:

- وانت بتحبه على كدا؟

- مافيش حد مش بيحب بيته.

كان حبيب يبدو شديد الغرابة عن قرب، كدمية خشبية تم صنعها من جلدٍ بشري، يظهر وكأنه تمثال تم طلاؤه بلون الجلد، مخيفة ملامحه، وحتى طه لم يستطع إخفاء اندهاشه من هيئته.

- أنا مش بحب بيتي، بيفكرني بذكريات وحشة وبحس دايمًا جواه بالوحدة والحنين.

- ساعات بنحب الأماكن اللي بتفكرنا بذكريات وحشة لمجرد إنها بتفكرنا باللي بنحبهم، بيخلونا معاهم مهما عدت سنين.

قال جملته الأخيرة وبدأت الدموع تتساقط من عينيه، إلا أن الغريب أنه بدا وكأنه لا يشعر بتلك الدموع على وجنتيه، وكأن حواسه أصابهم الشلل في تلك اللحظة، فقط حينها تأكد طه أن هذا الحبيب يحمل من الأسرار



ما يكفي ليفهم الكثير عن فندق القلب السعيد. تركه طه وطلب منه أن يعود إلى غرفته ليستكملا حديثهما في اليوم التالي، ليستقبل بعده الحاج وفيق، والذي لم يعرف طه كيف سيتعامل معه إلا أنه حيَّاه ووضع أمامه ورقة وقلمًا، وقال له:

- عم وفيق، أنا عارف إنك هنا طول حياتك، حاول تساعدني أرجوك وأنا مش هعطلك والله.

هز وفيق رأسه بامتنان يشوبه خوف، عجوز هو نالت منه الحياة وسلبت منه روحه وسعادته لتترك له بقايا إنسان ينتظر الموت على أحر من الجمر.

- أنا عارف إنك بتعتبر الفندق دا بيتك وعمرك كله، عشان كدا عايزك تساعدني لو تعرف أي حاجة عن الناس اللي ماتوا هنا..

أمسك وفيق بالقلم بيد مرتعشة مترددة، وبدأ برسم صورة بسيطة لفتاة يظهر على وجهها العبوس، كانت الرسمة أشبه لرسومات طفل في الثانية، إلا أن ملامح المعنى كان جليًا واضحًا. أمسك طه بالرسمة وأمعن النظر إليها، وتذكر تلك اللوحة المعلقة في بهو الفندق للفتاة الصغيرة التي طالما تعجَّب من هيئتها الحزينة، فسأله:

- هي دي سِحر يا عم وفيق؟



هز العجوز رأسه بالإيجاب، سأل طه نفسه عن سبب رسمه لسِحر في هذا التوقيت، إلا أنه استشفّ تعلق وفيق بها، فقال له في ود:

- عرفت من الست فل إنك انت وهي اللي كنتم واخدين بالكم من سِحر وهي صغيرة.. الله يرحمها.

أمسك وفيق بالقلم مرة أخرى ليرسم به قلبًا مطعونًا، كانت تلك الرسمة أوضح من سابقتها، فسأله طه:

- سِحر قتلها أبوها عماد العلايلي، عايز تقول إن عماد له دخل في باقي الناس اللي ماتت؟

وقبل أن يجيبه وفيق، دخل أحد العساكر غرفة التحقيق مسرعًا وهو يصرخ لاهثًا:

- اِلحق يا طه باشا.. الجدع اللي اسمه حبيب كان هيخلص على الست فل!

اندفع طه من مقعده تجاه صوت الصراخ، كانت الست فل تبكي بحرقة وهي تمسك برقبتها التي تحول لونها إلى لون أحمر داكن، يقف إلى جانبها بكير يفحص رقبتها، بينما حبيب في الجهة المقابلة لها في الغرفة ثائرًا كالموج، يمسكه عنتر بذراعيه حتى لا يقترب من فل مرة أخرى.

- إيه اللي بيحصل هنا يا حضرات؟



قالها طه بصوت حازم ألجمهم جميعًا، اقترب من حبيب والذي تمزقت ملابسه نتيجة تلك المنازلة مع فل، قوية البنية هي لم يفقدها الزمن شكيمتها رغم كل شيء، ولكن ما تعجب منه ليس ما فعلته بملابسه، بل ما فعلته بوجهه. فور أن نظر طه إلى وجه حبيب، حتى تبخّرت من وجهه ملامح الغضب والبأس. فور أن نظر طه إلى وجه حبيب، حتى أصاب ملامحه صمت خيم على الجميع. فور أن نظر طه إلى وجه حبيب حتى تأكد أن بالفعل فندق القلب ملعون مخيف.





الإسكندرية – ١٩٩٨..



- أنا بحب حبيب وهنتجوز ونسيب مملكتك دي. دلوقتي بس عرفت ليه ماما انتحرت، الموت أكيد أريح بكتير من إني أعيش مسجونة في القلب..

- أنا صح، انتِ فعلًا مش سِحر، انتِ مش البنت اللي وهبت عمري كله ليها وضيعت سنيني بحاول أحميها من العالم، عايزة تتجوزي حبيب وتفضحيني؟

- كفاية بقى يا بابا، بجد كفاية! العالم مكان طبيعي، العالم المرعب اللي مليان وحوش دا في دماغك وبس، انت مريض.. الحب عمره ما كان فضيحة ولا حاجة نتكسف منها.

ابتسم عماد في أسى قبل أن يضغط زناد مسدسه الصغير الذي كان كفيلًا بإنهاء الحياة تمامًا في هذا الفندق، والذي أصابه الظلام منذ تلك اللحظة. هبط



عماد أدراج السلم بعدها باحثًا عن حبيب، رأس الأفعى كما يراه هو، سالب روح ابنته، كما يراه هو، جحيمه ولعنته كما يراه هو. أمر بإغلاق أبواب الفندق، وبكل ما عرف يومًا من سخط بدأ يصيح باسمه: حبيب!

بأقدام تحمله على استحياء تقدم حبيب لمكان وقوف عماد صامتًا في حضرة الموت.

- انت مش هتموت يا حبيب، انت هتعيش وتفضل عايش بذنبها اللي باقي من سنين عمرك.

لم يجد حبيب ما يقوله، أعين عماد كانت كفيلة بإلجام حواسه إلى الأبد. أمسك عماد بتلابيبه وحبيب في حالة من الاستسلام التام، لا يحاول حتى أن يفلت من قبضته، كبقرة صغيرة في يد الجزار، تعلم أن الفرار لن يجلب لها إلا إرهاق لا نتيجة له ولا جدوى منه، ظل ممسكًا به حتى وصلا إلى غرفة غريبة خالية تمامًا من الأثاث، أشبه بغرف التعذيب. ربطه عماد في مقعدٍ خرساني مثبت بالأرض، وجلس هو أمامه على مقعد آخر، وبدأ في الحديث بعدما أشعل سيجاره.

- من زمان؟

- مش فاهم حضرتك!

خرجت الكلمات من حبيب كجثة خرجت للتو من باطن الأرض:



- مش فاهم؟ سِحر.. حبيتها من زمان؟

- من وإحنا عيال حضرتك.. أنا وسِحر ما عرفناش في الدنيا إلا بعض.

- انت خنت الأمانة يا حبيب، خنت القلب اللي اتفتح لك من وانت لسه حتة لحمة حمرا لما أبوك جالي وقال لي إنه عايز مكان يشتغل فيه ويبقى سقف فوق راسه هو وابنه.. وفي النهاية إيه؟ بنتي؟ بنتي الوحيدة؟

كانت الكلمات تخرج من جوفه بصعوبة، يأخذ نفسًا عميقًا بين الكلمة والأخرى، عيناه تدور كالمخمور وحبيب ما زال قابعًا في مقعده مكبلة يداه بحبلٍ غليظ.

- سِحر كان نفسها تعرف العالم يا باشا، وأنا كنت ليها العالم دا بحكاياته وأخباره وصوره، أنا كنت ليها الأغاني والأفلام والشوارع، أنا كنت ليها شباك صغير في وسط سجن كبير معاليك. عمري ما فكرت أخون الأمانة. أنا بحبها يمكن قد ما حضرتك بتحبها..

قام عماد من مكانه، سحب من أحد أركان الغرفة سكينًا متناهي الصغر، أشبه بمشرط الطبيب، وبدأ بلا مقدمة أو رحمة بتمزيق وجه حبيب، حتى أصبح أشبه بوحشٍ قبيح مفزع، ليعود بعدها إلى مقعده بعدما تلطخت ملابسه بالكامل بدماء حبيب. سحب نفسًا كبيرًا من سيجارِه مرة أخرى، ثم قال في وهن:



- كل غلط لازم يتصلح بطريقة غلط يا حبيب.. ارتاح لحد ما الدكتور يوصل.. أنا محضّر لك مفاجأة يا ابني.



تأمل طه وجه حبيب، فانتابه فزع لم يتذوقه من قبل، في أثناء مواجهته مع فل، كانت هي تحاول أن تفلت من قبضته بأي طريقة ممكنة، وأقرب ما طالته يدها كان وجهه، بأظافرها الطويلة ضربت ملامحه حتى شقّت حوافرها جلده، كان طه ينظر إلى رجل بوجهين، طبقتين من الجلد، الطبقة الخارجية الممزقة تحمل جلدًا حديثًا لرجل ثلاثيني مخيف بعض الشيء، والطبقة الداخلية لرجل تخطى عامه الستين منذ فترة. يعيش هذا العجوز متنكرًا في جلد شاب أم هو مسخ مختل؟ ولماذا كان يتعارك مع فل؟

نظر إليهما طه ثم نظر حوله، وفي اللحظة التي شاهد فيها ملك تبتسم له أعلى السلم سقط مغشيًا عليه في الحال. ساعات مرت لا يعرف عددها، إلا أنه استيقظ على صوت ملك، ولما فتح عينيه كانت الشمس قد غابت، عدل من جلسته وهو ينظر إليها بوجهٍ يملأه الحنين والإعياء، وقال:

- إيه اللي حصل يا ملك؟

- قلبك بقى ضعيف يا حضرة المحقق!

- كان المفروض يسموه الفندق الملعون.. هو حبيب فعلًا عنده وش تحت وشه ولا أنا كنت بحلم؟

- مش بقولك قلبك بقى ضعيف يا روحي، بقيت مش



قادر تصدق اللي قلبك بيرفضه.

- مافيش حاجة حصلت هنا قادر أقبلها لا بقلبي ولا بعقلي.. انتِ الحقيقة الوحيدة يا ملك!

- هانت يا حبيبي.. أوعدك إن كل دا هيخلص قريب أوي.

كطفلٍ تائه شرع في النحيب، تنظر إليه ملك وتتمنى لو بإمكانها احتضانه والتهوين عليه بأي شكل، إلا أنها مثله تمامًا، وحيدة في عالمها الخاص، هما سويًا في غرفةٍ واحدة، ولكن بينهما عالم بأسرِه يفرق بينهما. غسل وجهه وبدَّل ملابسه هابطًا سلم الفندق وهو يدعو الله في سرِه أن ينتهي كل هذا الهراء ليعود بعدها إلى عزلته وذكرياته مع ملك. جلس في صومعة تحقيقاته، يُدخن ويرتشف من فنجان قهوته الخامس، وأمامه فل وحبيب الساكتين تمامًا رغم مرور أكثر من ساعتين على جلوسهم في تلك الغرفة.

- أنا مستعد أفضل أشرب في قهوة وأحرق في سجاير لحد ما تتفضلوا مشكورين تحكوا لي عن سبب الخناقة اللطيفة دي، وطبعًا الأستاذ المقنع دا يفهمني حكايته إيه!

إلا أنهما الاثنين تمسكا بصمتهما، فأكمل طه كلامه لكن بصيغة تحمل بين طياتها شيئًا من التهديد والوعيد



دون أن يفقد ابتسامته.

- طيب، خليني أبشركم بحاجة وبعدها خليكم في الصمت دا للأبد لو تحبوا، الجرايم اللي بتحصل في الفندق هنا مش سرقة ولا نصب، دي جرايم قتل يا حضرات، وبمنتهى السهولة اللي في الدنيا بعد اللي حصل بينكم امبارح هقول اتنين شركاء في جريمة قتل واتخانقوا بعد ما اختلفوا سوا، ونقفل بقى القضية اللي شغلت الناس سنين ونرتاح بقى، أنا هطلب قهوة تاني دلوقتي ولو خلصت قبل ما أسمع حكاية تدخل الدماغ، نبدأ بقي نودع حبايبنا كلهم.

نظرت فل إلى حبيب في كراهية، ثم نظرت صوب طه وشرعت في الكلام:

- سعادتك حبيب كان بيحب الست سِحر من وهما عيال صغيرين، وكانوا ناويين على الهروب عشان يتجوزوا، الباشا الكبير الله يرحمه لما عرف قطع له وشه وحكم عليه يعيش من برا شاب صغير ومن جوا يعجز ويكرمش، الباشا الكبير كان بيعاقب اللي يغلط بالطريقة اللي يشوفها مناسبة للغلط نفسه، حبيب دايمًا لابس هدوم بكُم وجوانتي ومافيش حد من الزباين أخد باله إنه كبير.

- ما تخرسي يا ولية يا خرفانة! انتِ ما صدقتِ تفتحي الراديو على البحري؟ اتكتمي! ما تصدقهاش يا باشا دي



ولية مخبولة، اللي عندي دا مرض جلدي.

- مرض جلدي إيه يا عايب! من الآخر كدا سعادتك مافيش حبيب كبير وحبيب صغير، هو حبيب واحد وفضّل إنه يعيش زي المجذومين على إنه يبعد عن المكان اللي ضيعت فيه سِحر حياتها بسببه!

- يا ولية بقولك اسكتي بقى! يلعن أبو اليوم اللي دخلتِ فيه القلب يا شيخة!

شعر طه بالفخر من داخله، مَن يرى تلك الديوك الآن وهم يتعاركون ما كان ليصدق صمتهم السخيف منذ قليل. أمر طه رجاله أن يتحفّظا على حبيب وفل مرة أخرى في الغرف، مع تشديد الحراسة والمراقبة عليهما، وطلب منهم أن يعيدوا وفيق مرة أخرى لغرفة التحقيقات.

- معلش يا عم وفيق، سكان القلب أخلاقهم مش تمام باين عليهم!

فنظر إلى الأرض في خجل، إلا أن طه ربَّت على كتفه وقال مبتسمًا:

- بس انت راجل محترم وهتساعدني، صح؟

فابتسم العجوز في وهن:

- أنا عايزك تحكي لي حكاية السكان الأصليين للقلب يا عم وفيق، الحكاية اللي ما طلعتش برا حيطان الفندق



دا كل السنين اللي فاتت.

ناوله طه حفنة من الورق الأبيض وقلمًا، وبدأ الرجل في نقش الحروف كمَن قرر بعد عمرٍ طويل كتابة مذكراته في أيام حياته الأخيرة. في أوراقه البيضاء، شرع وفيق في الكتابة ساردًا قصته بدموعٍ وحبر لم يجف رغم كل شيء:

»كاذب مَن قال أن للإنسان نصيب من اسمه، لم أشعر في يومٍ من الأيام أنني موفَّق بأي شكل من الأشكال، في الماضي كنت أرى المستقبل مضيئًا، وبدخولي فندق القلب ستتغير حياتي تمامًا، سأجد السعادة والمال والمستقبل، لم أعرف أنني سأعيش سنوات في وحدة وخنقة، وسنوات أخرى سأعيشها أخرسًا فاقدًا للسانه ولحروفه، كان الاستقبال في بدايته مبشرًا، عماد باشا العلايلي رحّب بوجودي وأعطاني كشابٍ في مقتبل حياته غرفةً لطيفة، هي الأولى التي أمتلكها في عمري، ووضع ثقةً كبيرة فيَّ، كان يقول دومًا أن لكلٍ من سكان القلب الأصليين مكان خاص في قلبه، كان يحكي ويقول أن القلب مقسم لأربعة أقسام، حجرات القلب، صمامات القلب، الأوعية الدموية والجدران العضلية، وكان يرى عامليه وموظفيه كالأربعة أقسام السابقين كأهمية ومهام. أما الشرايين التاجية لقلبه فهي ابنته سِحر، سِحر هي المسؤولة عن مد قلبه بالأكسجين والغذاء، سِحر كانت حقًا مسؤولة عن بقائه على قيد الحياة.



كانت سِحر حياته ومأمنه، حتى بعد وفاة زوجته دانيلا، كانت أيامه مفعمة بالحياة لوجود سِحر، إلا أنه فعل تمامًا كما فعل مع أمها بسبب خوفه الدائم عليهما من العالم الخارجي، كان يرى العالم خارج الفندق مكانًا مخيفًا مليئًا بأناس يتجرعون الشر. كان يخبرها دومًا أن البشر وحوش مستترة خلف أقنعة، وحوش تنتظر اللحظة المناسبة لتفتك به وبها، محقًا كان أو مريضًا نفسيًا، في كل الأحوال استطاع عماد أن يحوِّل حياة ابنته إلى الجحيم ذاته بخوفه وأفعاله.

سنوات وأنا العين التي تراقب سِحر الصغيرة في كل مكان، أتأكد من أنها لا تغادر القلب ولا تخرج من قبضة يد أبيها، سنوات وأنا أطاوعه وأنفذ أوامره بلا تفكير، لعلمي كل العلم أنه لن يحب أو يخاف على إنسان قط بمقدار حبه وخوفه عليها، حتى كبرت سِحر وأصبحت فتاة ناضجة تبحث عن الحب والحياة كباقي ما خلق الله من نساء، كنت أرى الحب في عيونها وألمح تلك اللمعة التي تدب في أوصال عيونها كلما رأت حبيب، كنت أعلم تمام العلم أن حبيب لم يكن يتسلى بقلبها ومشاعرها، وأنه حقًا تمناها حياةً لحياته وروحًا لروحه. إلا أن السيد عماد كان له رأي آخر، كان يرى أن ابنته فوق مستوى المشاعر والحب، يراها ملكة لا يجب عليها أن تختلط بالرعاع حية كانت أو ميتة، حتى أن بعد تلك الليلة المشؤومة والتى حولت أضواء القلب للون الدماء والألم،



قرر وقتها عماد باشا أن جسد ابنته لن يغادر القلب، فهي أرق من أن تدفن بين التراب والطين».

- سِحر ما خرجتش من القلب يا عم وفيق، صح؟ روح وجسد..

نكّس العجوز رأسه مؤمِّنًا على كلمات طه الذي قام من مكانه وهو يمسك ذراع العجوز برفق قائلًا:

- تعالى معايا وريني أوضتها يا عم وفيق.

يعلم طه أن الأرواح الحائرة لموتى وضحايا القلب لا يغادرونه أبدًا، يعلم طه أنه يعيش الآن بداخل فيلم خيالي لم يفهم معناه سوى في تلك اللحظة، يعلم بكل جوارحه الآن أن السكان الأصليين للقلب ليسوا فقط العاملين، بل الأشباح هم بداية هذا المكان والشهود الأوائل على قصص تلك البناية المظلمة والمفعمة بالذكريات والألم. هل كان يجب على عماد العلايلي أن يصدق أن هذا المكان مسكون وأشباحه يعودون للانتقام؟ أم كان يجب عليه أن يبقى مغيبًا معميًا لا يرى ولا يستوعب أن هناك أرواح تسكننا وأرواح يسكنون قلوبنا حتى يفتكوا بها.

مشى العجوز بخطوات متعرجة تحمل من التراجع ما يكفي ليتقهقر جيش بأكمله على هداه، يصعد الأدراج وطه خلفه يمشي بسرعته، تتسارع نبضات قلبه حتى أصبح يسمعها بوضوح مخيف، مشيا حتى وصلا إلى



الدور الأخير من الفندق، ومنه إلى بابٍ متناهي الصغر، لن تستوعب أنه باب إلا إذا دققت النظر إلى تفاصيله، فتحه وفيق بمفتاح صدئ قديم ليكشف عن سرداب طويل، سرداب يراه طه لأول مرة فوق الأرض وليس تحتها، مشيا فيه كثيرًا حتى أن طه شعر أنه رحل عن مكان الفندق منذ ساعات طويلة ليصلا سويًا إلى سلم خرساني ضيق للغاية، بدأ الاثنان في صعوده بصعوبة لصغر حجمه، في نهايته باب عملاق عليه العشرات من الأقفال ويحتوي داخله على تنين مجنح مستعد لينفث ناره في وجه الجميع. تذكر طه في تلك اللحظة مقابلته الأخيرة مع سيد ناموسة، وكلامه عن زيارته الأخيرة للفندق.



- يا باشا أنا بقولك بالتفصيل، المهم دخلت في الخباثة وبدأت آخد الفندق طالع نازل بلف على المكاتب والأوض المفتوحة، الفندق زي ما سعادتك عارف حجمه كبير وعماله يا دوب يتعدوا على صوابع الايد الواحدة،



كنت باخد اللي فيه النصيب بقى إذا كان ساعة ولا محفظة، لحد ما طلعت الدور الآخراني، ألاقي لك بقى يا باشا الدور بيطلعك على باب بيوصل للسطوح، متقفل بأقفال ياما، ولسه هبدأ أحاول أفك فيهم لقيت واحد مقرب مني بيزعق فيا ويقولي انزل من هنا.. طبعًا نزلت أجري هوا زي الفار عشان ما يحصلش أي منكش. بس كلام في سرك يا باشا أنا متأكد إن أيًا كان اللي ورا الباب دا سر ابن هرمة الكل بيحاول يداريه، لو لقيت الباب دا يا باشا هتبقى لقيت السر كله..



بدأ وفيق في فتح الأقفال الواحد تلو الآخر بيدٍ مرتعدة وقلب يكاد نبضه أن يتوقف في خلال لحظات من قوة رعشته وقلقه، انتهى من كل الأقفال في غضون دقائق مرت كالسنوات، ليبتعد من أمام الباب مفسحًا الطريق لطه الذي قد تملكه الرعب بدورِه، فقال وهو يضع يده ليلامس مسدسه بأنامله:



- خليك انت هنا يا عم وفيق.. أنا هدخل لوحدي.

فتح طه الباب في بطء، تسبقه عيونه إلى الداخل، رأسه تتحرك كالمخبول ترصد تفاصيل الغرفة، يحاول أن يستشف عن ماهية تلك الزنزانة، أول ما شعر به طه كانت تلك الرائحة التي دلفت بلا استئذان إلى فتحتي منخاره، رائحة يعرفها جيدًا، رائحة الموت الذي يحفظ تفاصيله جيدًا. دخل إلى الغرفة ببطء وبدأ في تأمل تفاصيلها الغريبة، الغرفة تغوص في بحار من التراب والفضلات، العشرات من الفساتين المتآكلة بفعل الزمن والعثة، الكثير من الأوراق الممزقة، شرائط كاسيت في الأغلب لا تعمل، وروايات قديمة أوراقها تحولت إلى لونٍ أصفر بائس، والكثير من السكاكين المتسخة بلونٍ أحمر داكن ملقاة بأحجام وأشكال مختلفة. مَن عاش في تلك الغرفة هو بالتأكيد فنان سيكوباتي من الطراز الرفيع، فنان فقد آدميته وروحه منذ زمن طويل. لفت نظره سكين غارق في دم حديث، غير متجلط، مد أصابعه المرتعشة ليستشف عن مكنون السائل الأحمر، وقبل أن تلمس يده مقتنيات الغرفة، خرج من حمام الغرفة كيان لم يفهم طه ماهيته في بادئ الأمر. هذا ليس شبحًا، هذا ليس تنينًا أسطوريًا يتوق لنفث النيران. يرى تفاصيلًا لكائن فقد ماهيته وهيكله الآدمي المتعارف عليه، شعر أشعث متشابك هو مزيج من الرمادي والأسود، أسنان سوداء اللون، وجلد ملقًى بإهمال فوق

بعض العظام ليكوّن هذا الجسد. إنها سيدة مسنة أقرب إلى الأموات، أم هي بالفعل من الأموات؟

بعينيها حياة تآكلت رويدًا حتى أصبحت لا تراها، مشت بخطوات باهتة مهتزّة تجاه طه بأقدامٍ مُكبلة بأصفاد كطوق الكلاب، أقدام متيبسة من قلة حركتها، وأظافر أشبه بأظافر ذئبٍ عجوز. اقتربت منه تتأمله وهي تمد يدها الهزيلة لتصافحه في سعادة بالغة، وقالت بعينين أشبه بأعين البُوم وبصوت أشبه بفحيح أفعى.. أفعى كوبرا باهتة تحتضر:

- انت مين؟!

مد يده ليصافحها في خوف، بينما خرجت الحروف من فمه كمَن ابتلع جبلًا من الرمال منذ قليل:

- ط..طه.. اسمي طه..

- وأنا سِحر.. سِحر العلايلي.

يعلم طه تمام العلم أن القلب يسكنه الأموات قبل الأحياء، يتمايلون ويرقصون ويتجولون في الأروقة، ويتعاملون من الجميع معاملة السكان الأصليين، يعلم أن أشباح القلب يقيمون بغرفها إقامة دائمة تشمل الإفطار والعشاء والندم، يعلم أن الأشباح في هذا الفندق لا يختلفون أبدًا عن البشر، إلا وأن رغم كل شيء شعر بالخوف للمرة الأولى من شبح يقابله ولسبب لا يعلمه..



شبح سِحر لم يكن مثل بقيتهم.. كان مختلفًا.. مختلفًا تمامًا.



الإسكندرية – ١٩٩٨..



- أنا بحب حبيب وهنتجوز ونسيب مملكتك دي.. دلوقتي بس عرفت ليه ماما انتحرت، الموت أكيد أريح بكتير من إني أعيش مسجونة في القلب.

- أنا صح، انتِ فعلًا مش سِحر، انتِ مش البنت اللي وهبت عمري كله ليها وضيعت سنيني بحاول أحميها من العالم!

- كفاية بقى يا بابا، بجد كفاية! العالم مكان طبيعي، العالم المرعب اللي مليان وحوش دا في دماغك وبس، انت مريض.. سيبني مرة أعيش السعادة اللي اتحرمت منها بسببك!

ابتسم عماد في أسى قبل أن يضغط زناد مسدسه الصغير الذي كان كفيلًا بإنهاء الحياة تمامًا في هذا الفندق الذي أصابه الظلام منذ تلك اللحظة. ضغط



عماد زناده لتستقر الرصاصة الأولى في الحائط خلف ابنته، والرصاصة الثانية استقرت في السقف لتشرخ نجفته العتيقة.

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يلقي بمسدسه أرضًا ليمسك بعدها سِحر من تلابيبها ويصفعها على وجهها بكل قوته وحزنه، لتسقط أرضًا من أثر ضربته. خرج من الغرفة وهو يصرخ مناديًا على فل ووفيق، طلب من الأخير أن يحضر له أصفادًا حديدية والعشرات من الأقفال، لتتحول غرفة سِحر بالدور الأخير من الفندق إلى زنزانة، قام بوضع الأقفال على بابها واحتفظ بالمفاتيح معه، وأعطى فل مفتاحًا واحدًا يفتح فتحة صغيرة بالباب كفيلة فقط لتدخل إليها الطعام. وضع أحد الأصفاد حول قدم ابنته حتى تظل حبيسة حتى وهي داخل محبسها.

- من الليلة دي العالم بتاعك هيبقى الأوضة دي.. حتى الفندق نفسه مش هتشوفي جزء منه بعد النهاردا.

- حرام عليك يا بابا.. حرام عليك، أنا عمري ما عملت حاجة غير إني بنفذ كلامك وأوامرك!

- هتعرفي يعني إيه راجل مريض يا سِحر. مبروك عليكِ زنزانتك.. انتِ فعلًا ما تختلفيش حاجة عنها.. كلكم نفس الطمع والجشع.. كلكم أندال!

بدأت سِحر في الصراخ، إلا أنه لم يلتفت إليها، كل



مشاعر الحب التي وضعها لابنته الوحيدة تحولت في لحظات إلى كراهية واشمئزاز، لا يرى سِحر، بل كل ما يراه الآن دانيلا.. أكثر مَن أَحبَّ، وأكثر مَن كَرِه!



الإسكندرية – ١٩٨٠..



- عماد.. عشان خاطري سيبني! مش عايزة أموت!

- أنا آسف يا دانيلا!

- هعمل كل اللي انت عايزه، بس عشان خاطري سيبني أعيش!

نظر إلى أسفل ومن ثمَّ إليها مرة أخرى، ليقول وهو يبتسم في جزع:

- مشاعرنا بتقدر تكدب علينا بأسوأ الطرق يا دانيلا، زيها زي البشر، مشاعرنا بتقدر توعد وبتعرف تخون الوعود دي.

- بس أنا مشاعري عمرها ما اتمنت غيرك، فضّلت تختارك كل مرة وتحت أي ظروف، وهتفضل تختارك يا عماد!



كان بين الجملة والأخرى تحاول أن تفلت من قبضته وهو يُقربها أكثر من الحافة:

- مش بعد النهاردا يا دانيلا..

- إدي لروحك فرصة.. إدينا إحنا فرصة!

ابتسم لها مرة أخرى وقال في استياء:

- انتِ الحاجة الوحيدة اللي اتمنيتها في حياتي، وبعد كل دا عايزة تسيبيني!

- أنا ما كنتش عايزة حاجة غير إني أعيش زي باقي البشر، أشوف الشوارع والناس.. عماد أرجوك، فكر في سِحر، هتعمل إيه من غير أمها؟

- هعرف ازاي أحافظ عليها وأحميها.. الوداع يا دانيلا.

لم يمهلها الفرصة لتجيب، رفع يمناه في الهواء مودع إياها وهي تنظر إلى ملامحه الجامدة في صدمة قبل أن يلقي بجسدها من السطح. وفي غضون ثوان بسيطة تحولت دانيلا إلى مجرد بواقي ذكرى، تمنى هو لو ظلت إلى الأبد معه وله.

دانيلا لم تنتحر، لم تكن تنوي هذا أبدًا، كانت متشبثة بالحياة حتى وإن كانت حياة غير مكتملة، حتى وإن كانت حياة غير منصفة أبدًا، إلا أنه أرادها له فقط، وكأنها دمية تطيع رغباته وأمنياته ولا شيء غير ذلك.







أمسكت سِحر يد طه المرتجفة تربت عليها وتبتسم له في هدوء وهي تقول:

- ما تخافش..

- انتِ.. انتِ شبح؟!

- على حسب إيه مفهومك عن معنى الشبح..

بلع طه ريقه في صعوبة وهو يتأمل تفاصيلها، بلا شك هي أقرب إلى الأموات، تنتمي لعالمهم بلا مجهود أو تكليف، بقايا إنسان يمسك بتلابيب الحياة بما تبقًّى لها من قوة بأنامل فقدت قدرتها على التشبث منذ زمن طويل، تبتسم لحظة وتغضب في اللحظة التالية، حطام إنسان فقد كل شيء، حتى روحه.

- بس ازاي؟ انتِ مش المفروض؟

- المفروض أكون ميتة تقصد؟ عماد العلايلي استكتر عليا الموت.. تخيل؟ انت مين بقى يا طه؟

- أنا اللي بحقق في الجرايم اللي بتحصل هنا.. قولي لي الأول، انتِ كويسة؟

ابتسمت سِحر في وهنٍ وهي تجلس على مقعد وثير مغطى بالأتربة، وقالت كمَن تشاهد شريط حياتها أمام أعينها الحزينة:

- يعني إيه كويسة يا طه؟ كويسة يعني عايشة؟ ولا



فرحانة؟ ولا موجودة؟ أنا بقالي سنين طويلة عايشة بين الأربع حيطان دول، وحيدة وساكتة، بفضل كل يوم أتكلم مع نفسي بصوت عالي عشان بس ما أنساش الكلام والحروف، حتى شوف...

أشارت بيدها إلى حائط الغرفة المليء بالحروف والأسماء والمواقف، كانت سِحر تدوّن مذكراتها بالنقش على الحجر، تحكي وتدون وتتذكر، تروي قصتها الحزينة على الجدار، ولكن أتدوّن لتتذكر أنها ما زالت على قيد الحياة؟ أم تدوّن لتتذكر أنها لن تعرف طعم الحياة مرة أخرى إلا من خلال حائطها؟

- بص.. شايف الحيطة؟ دي حكاية سِحر..

أمسكت بيده تقربه من الحائط، تشير إلى ما كتبت كطفلٍ يروي لأبويه ما حدث معه في يومه:

- شايف البنت الصغيرة دي؟ دي أنا.. هي نفس اللي قدامك دي.. شايف؟ شايف؟

الأعوام التي عاشتها سِحر داخل تلك الغرفة غيرتها، أفقدتها روحها الناعمة، غيرتها وشكَّلتها ودمرتها، وهي التي لم تتمنَّ سوى أن تحب وتحيا. كانت في يوم من الأيام تبحث عن عالم لها، عالم قد يكون خاليًا من بديهيات الحياة، كنظرة إلى السماء، كمداعبة قدميها بماء البحر، بديهيات تمنتها ولم تنَلها، كمشاهدة فيلم



في السينما، كعبور شارع مزدحم، إلا أنها لم تنل مما تمنت سوى حضن حبيب، حضن كان لها باب الحياة وشباك على الدنيا التي لم تعرفها، وحتى هذا كان محرمًا عليها.

- احكي لي يا سِحر.. احكي لي عن اللي حصل في الفندق دا.. وما تخافيش.. أنا مش هسيبك..





الإسكندرية – ٢٠٠٣..



- لو دا مقلب يا أستاذ عرفني عشان أنا مش بكره في حياتي قد العشم اللي بيطلع على فاشوش، وبعدين إيه حكاية الوقت المناسب دا؟ دايمًا في الأفلام يقولوا الكلمة دي وعمري تحديدًا ما عرفت امتى الوقت يبقى مناسب لأي حاجة.

سكت مختار للحظات قبل أن يفتح حقيبته السامسونايت والتي كانت مستقرة بين قدميه، وأخرج منها بعض الأوراق وناولها لعيسى بعدما تجرّع ما تبقى من كوب الشاي، وعيسى ما زال غير مصدق لأي شيء مما يحدث، أحقًا ستبتسم له الحياة أخيرًا؟ أسيعرف معنى السعادة التي طالما تمناها؟

- اقرأ يا فندم، هتعرف إني لا بعمل مقلب ولا أي حاجة من الحاجات دي.



بدأ عيسى في القراءة، ومع كل سطر يمر أمام عينيه كانت تتهلل أساريره وهو يكبت بصعوبة شديدة دموعه، وفور أن انتهى من قراءة الورق كله، وضع مختار بين أصابعه قلمًا فاخرًا من الذهب الخالص، وقال بجدية تتماشى مع محتوى ما بين يديه من أوراق:

- قبل ما تمضي على استلام ورثك لازم تقرأ وصية الباشا الكبير، واللي مش هاينفع ما تنفذهاش.

- الوصية دي بتقول إيه سعادتك؟

- تقدر تقول إنها موافقة مطلقة على شوية شروط مرتبطين بالفندق والحياة الشخصية لعماد باشا الله يرحمه.

- معلش يا بيه اعذرني، تطلع إيه الموافقة المطلقة دي؟ أنا تحت الأمر بس آخد فكرة يعني!

- يعني حياتك كلها هتبقى ملك الفندق وعماد باشا حتى لو هو ميت، اللي هطلبه منك يتنفذ من غير تفكير ومن غير اعتراض، وفي المقابل هتبقى من أغنى رجال البلد، واللي هتحلم بيه انت وعيلتك هيبقى ملك إيديك.

- يا باشا أنا زي اللي متعلق بقشاية ومستني العمر يفتح لي دراعاته، رسيني يا بيه على اللي فيها وأنا من إيدك دي لإيدك دي.



- عماد باشا ما سابش فلوس والفندق وبس، الباشا الكبير ساب سر كبير الحفاظ عليه يمكن أهم من الحفاظ على الأصول والممتلكات، لو موافق تحافظ على سِره يبقى مبروك عليك القلب.

اعتدل عيسى في جلسته وبدأ يستمع إلى مختار في جدية، وكأن حياته بأكملها تعتمد على كلمات الأخير، اقترب مختار من عيسى وبدأ يروي بصوت خافت قصة عماد وسِحر، وكلما كان ينطق حرفًا كان الرعب والفزع يتسللان لملامح عيسى، الذي ظل يستمع بكل تركيز.

سكت عيسى للحظات يفكر في الأمر، سيحفظ السر إلى الأبد، سيحمل معه أسفارًا بداخلها لعنة عائلة العلايلي، سيعيش حياته كسجّان يرعى مسجونة واحدة، ولكنه سيجد الملك والمال والنعيم الذي طالما حلم به. تنهد وقال بابتسامة هي مزيج من التوتر والسعادة:

- أنا خدام عماد باشا وفندق عماد باشا.

-خلاص بقى فندق عيسى باشا.. أنا من النهاردا معاك خطوة بخطوة.





بدأ رجال طه في فك الأصفاد من أقدام سِحر، وناولها هو كوبًا من الماء بدأت تتجرعه في هدوء بيدٍ متشنجة، وهي تكمل حكيها له وهو يستمع في اكتراث.

- حبيب وافق يفضل عايش في الفندق عشان بس يفضل جنبي، بابا بعد ما شوّه وشه كان بيغير له قناع الجلد عشان يفضل قدام الناس كلها شكله طبيعي، كان بيربي وحش وهو مش شايف دا، مسخ دميم بس قلبه بيحبني ومش عايز من الدنيا غير إنه يفضل جنبي، كبرنا مع بعض وحبينا بعض بس الحب دا بابا استكتره علينا. وبعد موته كنت فاكرة إني خلاص هخرج من السجن دا، كان جوايا أمل إني هتجوز وأعيش حياتي زي ما حلمت وأنا لسه عيلة صغيرة، بس عيسى كمل اللي بدأه عماد باشا، سجن مؤبد بيتجدد بشكل تلقائي، كل دا عشان حبيت؟!

قالتها بجسد لم يكف عن الارتجاف، تنظر بين اللحظة والأخرى حولها كمَن ينتظر تنفيذ حكم الإعدام به.



- كل دا عشان شاف فيكِ دانيلا يا سِحر.. وفيق حكى لي القصة الحقيقية لعماد ودانيلا، مش الحكاية اللي كل الناس بتحكيها، وفيق خسر روحه لما شاف سر عماد ودانيلا، وخسر لسانه يوم ما عرف سرك انتِ.

- السكان الأصليين للقلب كلهم كانوا عارفين السر يا أستاذ طه، الست فل اختارت ترضي عماد ومن بعده عيسى عشان تفضل محافظة على أكل عيشها، وفيق على قد ما حبني على قد ما كان جبان، حبيب حبه ليا خلاه يخاف يبلغ، خاف يخسرني وفضل إنه يعيش بلعنته على إنه يبعد عني ويشوف حاله ومشواره، حتى الولد الغلبان اللي اسمه بكير، نصيبه إن يوم وصوله للقلب كان في يوم الصيد.

-يوم الصيد؟ يعني إيه؟!





الإسكندرية – ٢٠١١..



بعد وفاة ابنه بعدة سنوات، وبعد عدة محاولات فاشلة لإنجاب طفل آخر، تحقق المراد وتم الحمل، عادت في إحدى ليالي عام ٢٠١١ زوجته جميلة من الخارج مبتسمة، وفور أن رأته حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه وهي تقول بين دموع حجبت كلماتها:

- أخيرًا يا عيسي، أنا حامل، هجيب لك العيل اللي بتتمناه بقالك سنين.

- حبيبتي أنا مش مصدق نفسي، الحمد لله، الحمد لله يا روحي..

وقتها ظن عيسى أن اللعنة قد تركت حياته ورحلت عن القلب أخيرًا، بدأ في تحضير غرفة الطفل المنتظر، حتى أنه ذهب مع مختار ذات صباح وقاموا بشراء العشرات من لعب الأطفال ليزينوا بها الغرفة، طلب عيسى من



زوجته ألا تبرح غرفتها أبدًا حتى تتم الولادة، طلب من فل أن تراعيها وتهتم بكل شؤونها، هيَّأ لها كل سبل الراحة والأمان حتى يأتي اليوم الموعود، إلا أن الرياح لا تأتي أبدًا بما تشتهي السفن.

خرج عيسى في أحد الأيام لحضور مزاد على بعض الأثاث الذي يحتاجه الفندق، توجه بعدها لشراء بعض الورود لجميلته من محله المفضل "بافيون دي فلوريال"، عاد إلى جناحه الخاص وفور أن اقترب من الفراش حتى رأى المشهد الذي على إثره شُلّت قدمه، كانت زوجته الحبيبة مقيدة يديها في الفراش، منحورة رقبتها والدماء تغرق الفراش بأكمله، بينما بطنها مطعونة عشرات الطعنات، كان المشهد مخيفًا، حتى عينيها امتلأتا بالخوف رغم أن الروح فارقتها. صراخه كان كفيلًا بتحريك جدران الفندق، احتشد الجميع أمام باب غرفته، الجميع غير مصدق ولا يستوعب ما حدث، البعض يصرخ والبعض ينتحب والجميع في ذهول مما حدث، من قد يفعل هذا؟ من قد يقتل روحًا طيبة تحمل بداخلها روحًا أنقى وأطهر!

حضر مختار من غرفته في عجالة وهو يعدل من هيئة روبه المنزلي، صاح في الجميع فغادروا جميعًا إلى أماكنهم والذعر يعتلي ملامحهم، بعدها جذب عيسى من يده وهو يقول:



- اهدأ يا عيسى.. اللي عمل كدا هعرفه وهيتحاسب..

كان عيسى يبكي بقوة، خرجت الكلمات منه بصعوبة قائلًا:

- مراتي يا مختار! أنا لازم أطلب البوليس.. مين اللي ممكن يعمل كدا؟!

- بقولك اهدأ.. وبعدين انت عارف كويس أوي إن البوليس ما ينفعش يدخل الفندق تحت أي ظرف!

- يعني إيه؟ أنا مش هسيب حقها يا مختار!

لم تعجبه تلك النبرة الحاسمة في صوته، فأمسك مختار بتلابيبه بكل قوة وصفعه على وجهه صفعة ألجمته وأسكتته تمامًا، تنفس بعدها قليلًا ثم قال لعيسى وهو يرخي قبضته:

- أنا حكيت لك قبل كدا إن الفندق دا ملعون، وحكيت لك كل الحواديت اللي حصلت هنا، وانت وافقت على كل حاجة، أنا ما خدعتكش يا عيسى، مدام جميلة قدرها كدا ولازم نسلم بيه!

- وحقها يا أستاذ مختار؟

صرخ فيه مختار بصوته الهادر قائلًا:

- هتاخد حقك من حيطان وطوب يا عيسى! فوق!



- انت عارف كويس أوي إن اللي عمل كدا مش حيطان وطوب يا مختار.. انت عارف إن اللي عمل كدا سِحر. يوم الصيد يوم ما يطول حد طال مراتي وابني اللي في بطنها!

أخرج مختار رأسه من باب الغرفة ليتأكد من أن الجميع قد رحلوا، ليسحب بعدها عيسى إلى الداخل بعنف وهو يقول بغضب:

- انت اتجننت! انت مش عارف إن المفروض اسم سِحر ما يتقالش على لسانك طول حياتك؟

- كل السكان الأصليين عارفين إن سِحر عايشة..

- واللي مش من السكان يا عيسى؟ انت عارف القوانين كويس! لو عايز من بكرة تترمي تاني في الشارع وترجع تاني تشحت في أعياد الميلاد يا ريت تعرفني، وهلاقي بكل سهولة حد يوافق يشيل الحمل دا وهو راضي ومبسوط..

دُفنت جميلته كأنها مريضة جذام وجب حرقها سريعًا والتخلص من جسدها البائس، في الظلام تمت الدفنة بلا معزيين وبلا شاهد لقبرها. استيقظ عيسى في اليوم التالي بجسد بلا قدمين، أصابه الشلل من الصدمة، ليعيش على كرسي متحرك هو صديقه ورفيقه الوحيد بهذا العالم.







بدأت سِحر في ارتشاف كوب الشوكولاتة الساخنة الذي أحضره لها طه، يرى في عينيها طفلة صغيرة يشفق على هيئتها، إلا أنه شعر بقدرٍ من السعادة من ملامحها، وكأنها تكتشف طعم السعادة والأمان والإنسانية للمرة الأولى منذ عشرات السنين، ابتسمت والدموع تنهمر من عينيها وقالت في أسى:

- كان مسموح ليا بناءً على قوانين عماد العلايلي إني أخرج من أوضتي مرة واحدة بس في السنة، بابا كان مسميه يوم الصيد، اليوم اللي مسموح ليا فيه إني أمارس العادة الوحيدة اللي ورثتها منه، القتل..

- تقتلي مين وليه؟ سِحر أرجوكِ فهميني!

قامت من مقعدها بخفة لم تخل من التذبذب، لتمد يدها المرتعشة إلى إحدى السكاكين الملقاة بغرفتها وهي تناوله لطه في خجل:

- مش عايزاك تشوفني معدومة القلب، مش عايزاك تشوفني مش إنسانة، السنين اللي عيشتهم في الأوضة دي خليتني أقرب للحيوان، لما بتاخد بني آدم وتبدأ تأكله أكل حيوانات وتعامله كحيوان، بالتدريج هيتحول لمخلوق تاني غصب عنه..

- قتل؟ انتِ يا سِحر؟ انتِ مفتاح اللعنة؟ طب والمخلوق اللي بتقولي عليه دا كان بيلاقي نفسه في



القتل يا سِحر؟

- أول مرة قتلت كانت بنت غلبانة، عيسى جابها عشان تكون مسؤولة عن أكلي، بدأت أتكلم معاها من ورا الباب، مرة أعيط لها ومرة أضحك معاها، خليتها تحبني وتعطف عليا، من كتر ما حبيتني خليتها تسرق مفاتيح أوضتي، مش عارفة ليه أول حاجة عملتها أول ما عيني وعيونها اتلاقوا إني مسكت اتقل حاجة وقعت عيني عليها وفضلت أضربها بيها لحد ما ماتت. كان ممكن أهرب، كان ممكن أستخبي في حضنها، بس اللي عملته إني قتلتها. كل ضربة كنت بضربها لها كنت بقتل عماد وعيسى وكل واحد من سكان الفندق من اللي ساهموا إني أفضل مسجونة. حسيت براحة غريبة لما لقيتها جثة قدامي..

قالت جملتها كأنها ترى الفتاة أمام أعينها في تلك اللحظة، أو ربما هي ترى شبحها بالفعل. شرعت في البكاء بنواح رج أركان القلب.

- وبعدين يا سِحر.. القتل اتحول لعادة؟

- الموضوع بقى ملهم بالنسبة لهم، أحبس الوحش وأخرجه في الوقت المناسب عشان يفرغ غضبه، وأحبسه تاني، بقيت بستنى اليوم اللي عيسى بيخرج الوحش اللي رباه من حبسته عشان الوحش يقتل، عشان الوحش يمارس الحاجة الوحيدة اللي بتحسسه إنه قوي، وإنه



عايش. بقيت بستنى الليلة اللي بخرج فيها عشان أقتل روح بريئة. انت عارف إن الأرواح اللي بتموت هنا بتفضل موجودة في القلب؟ كل سنة أصدقائي كانوا بيزيدوا واحد، قدرت خلال أكتر من ٣٠ سنة يبقى عندي أكتر من ٣٠ صديق وصديقة، العفاريت هما الونس اللي ما لقيتوش في الأحياء يا طه. ورغم كل دا حبيب كان بيحبني وفضل يشوف الجزء الحلو اللي جوايا، وافق يعيش جنب عيسى يستنى اللحظة المناسبة.. بس اللحظة طولت أوي.

نظر طه إلى جانبه ليجد بروازًا قديمًا، يحمل بداخله صورة لسِحر وهي في الخامسة على الأرجح، تجلس على سلالم البهو وتبتسم في دلال. ثم عاد إلى الطفلة التي تحولت إلى هذا الكائن الملعون أمامه متسائلًا:

- امتى الوحش ما يكونش في نظر اللي قدامه وحش يا سِحر؟

- لما تحبه يا طه..

أخذ طه نفسًا عميقًا قبل أن يكمل كلامه، لا يرى أمامه سوى مشهد موت ملك يعاد مرة أخرى أمام عينيه.

- كل ضحايا الفندق انتِ اللي قتلتيهم؟

- أنا، وساعات عيسى بمساعدة حبيب. كل واحد فينا كان بيقتل عشان يملا جزء ناقص جواه، مش ببرر بس



صدقني المكان دا كان كفيل إنه يطلع من كل واحد فينا جوانب ما كُناش نعرف حتى إنها موجودة. كلنا هنا مشوهين نفسيًا صدقني.. مافيش حد فينا سليم والقتل كان الدواء اللي بيخلينا قادرين نعيش.

- تفتكري كل اللي اتحبس بيتغير؟ بيبقى وحش زي ما بتقولي؟

- جرب.. جرب تعيش خمسة وتلاتين سنة محبوس في أوضة. ولا أقولك، جرب اقعد سنة واحدة في أوضة، خليهم شهر وشوف لما تخرج منها هتبقى طه اللي تعرفه ولا شيء تاني.

- عارفة إن واحدة من الضحايا تبقى مراتي؟ عارفة إنك أخدتِ مني أغلى وأهم حد في حياتي؟

- أنا آسفة.. مهما قولت لك عن الأسف والندم اللي جوايا على كل حاجة عملتها مش هيبقى كفاية صدقني.

- شايفة المفروض أعمل إيه؟ أسجنك؟ تطلعي من سجن لسجن تاني يا سِحر؟ ولا أسامحك وأتمنى لك تلاقي الراحة والسعادة في سنين حياتك اللي جاية؟

- سامح.. مشكلة القلب إنه عمره ما كان بيعرف يسامح يا طه، عماد ما قدرش يسامح دانيلا عشان كانت عايزة تمشي وتسيبه، فايز ما قدرش يسامح عماد على خيانته له، عيسى ما قدرش يسامح عماد اللي حوله من



إنسان لمسخ، حتى أنا ما عرفتش أسامح وألاقي عذر لكل اللي عمله فيا عماد العلايلي. لو مش قادر تسامح أرجوك اقتلني دلوقتي بإيدك عشان أنا مش قادرة أعيش محبوسة أكتر من كدا.. تعبت!

قالتها وهي تضع سكينها بين أنامله، لا يعلم تحديدًا مصدر تلك الرعشة، أهِيَ منها أم منه! كلاهما ظُلم من القلب. نظر إليها طه ولم ينطق، ثم عاد بجسده إلى الوراء كمَن يعيد التفكير في كل ما مرت به حياته في الأيام الأخيرة، مَن الظالم في تلك القصة ومن المظلوم؟ من هو القاتل الحقيقي؟ أهي سِحر؟ أم مَن حول سِحر من فتاة بسيطة رقيقة إلى جسد بلا قلب ولا رحمة؟ من المجرم الحقيقي ومن يستتر وراء الظلام يحرك ضحاياه بخيوط شفافة كيفما يريد؟ مَن المختل الذي حول فندقه إلى سجن إجباري لكل من عاش به؟ سجن ظل يطعم ساكنيه القهر والخداع حتى أصبح هذا عرف القلب!

ماذا يرى طه أمامه الآن؟ يرى سيدة دخلت تلك الغرفة طفلة وخرجت منها امرأة حزينة بائسة وغير سوية، يرى أمامه جسدًا لسيدة تحمل في عينيها براءة سِحر التي لم تتمنَّ سوى أن تنعم بحبها الوحيد الذي عرفته مع الشخص الوحيد الذي علمها كيف تحب، يرى تلك الفتاة التي حاصرها عماد بخوفه المزعوم من العالم، والخوف كله من شعوره الدائم بالفقد. لم يحبها عماد قط، بل



كان يراها دومًا نسخة مصغرة من أمها التي حاولت التمرد عليه وعلى قلبه المريض.

يرى فندقًا ساكنيه من التعساء، أناس مظلمون وظالمون، شياطين لا تتكلم ولا تسمع ولا ترى، شياطين لم يسلسلهم عماد في يوم من الأيام، بل هم من اختاروا أن يصبحوا جزءًا من القلب لا يغادرونه ولا يعرفون غيره، عصابة متكاملة الأركان يتزعمهم هذا البائس عيسى، عيسى الملعون بلعنة عمه، الطامع في الكثير والواهم الذي لم يحصد من الحياة إلا أبشع ما فيها، يرى رجاله الهالكين في حضرته لا يتكلمون ولا يتحركون، يستجيبون لكلماته كأنه إله، حتى عيسى الذي كان من المؤكد قادرًا في يوم من الأيام على أن يخرج سِحر من سجنها ويهرب معها، من المؤكد أنه لُعن بلعنة القلب، يعيش بداخله وهو يحمل في قلبه كل الكره والمقت الذي عرفه الكون، ذليل ينتظر شيئًا ما، أو يومًا ما لا يعلم موعده.

يرى الجميع مخطئين، الجميع ساهم في تدمير سِحر، في تحويلها إلى سِحرٍ أسود يفتك بكل ما يطوله، الجميع شركاء في دفن الفتاة، الجميع قتل ملك وبسيوني وكل ضحايا القلب السعيد الذي لم يكن يومًا سعيدًا ولم يفهم معنى السعادة في يوم من الأيام. شابة رائعة الجمال عاشت مكبلة بالأصفاد حتى تشقق جلدها، لا ترى النور



حتى أصاب قلبها المرض وجسدها أيضًا.

ابتسم طه لها في صدق، ابتسامة يوجهها إلى داخلها، إلى سِحر الطفلة. وقال وهو يناولها ميدالية مفاتيح كبيرة ويربت على كتفها بقلبٍ يعرف معنى التسامح للمرة الأولى منذ موت ملك:

- دي مفاتيح القلب يا سِحر، اعملي اللي انتِ شايفاه صح.

- وانت؟

- أنا اخترت أكون مع ملك، القلب ومفاتيحه دلوقتي ملكك لوحدك، وانتِ اللي في إيدك الحكم على الكل. جِه الوقت اللي تبقي الحاكم والقاضي يا سِحر. أنا هفضّي لك الفندق من كل رجالتي لليلة واحدة، أتمنى تستغليها صح.. مش هقدر أساعدك بأي شكل تاني صدقيني.

أمر طه رجاله أن يغادروا الفندق بعدما تأكد من أن السكان الأصليين داخل غرفهم، وأن الغرف جميعها موصدة بالنسخة الوحيدة من المفاتيح، والتي تحملها سِحر الآن بين يديها، لتكون ولأول مرة في حياتها سيدة القصر والقرار بحق. قبل أن يترك لها مفاتيح القلب، ناولها طه ورقة صغيرة تحمل بعض الأرقام والعناوين وقال لها مبتسمًا:



- دا الطلب الوحيد اللي هطلبه منك، حاولي توصلي للوقا ألكسندر وتديله نمرة إستيلا، قولي له إنها لسه بتدور عليه، ولسه بتحبه ومستنياه.

- هشوفك تاني؟

- أنا هكون في القلب.. يلا مافيش وقت..

- متأكد إنك مش عايز تمشي؟ تدي روحك فرصة تعيش وتحب تاني؟

- روحي عارفة قرارها خلاص.. ربنا يسعدك يا سِحر.

قام من مكانه وعاد مرة أخرى إلى غرفته بالفندق، كانت سِحر قد بلَّغته بقرارها وبلّغها هو بقراره أيضًا، دلف إلى غرفته وأغلق بابها جيدًا، ثم أخرج هاتفه وقام بتشغيل أغنية ملك المفضلة ليبدأ كارم محمود في الغناء بسعادة قائلًا:

أمانه عليك يا ليل طول.. وهات العمر من الأول..

بحب جديد وقلبي سعيد.. يا ريتني عشقت عامنول!

ظهرت أمامه ملك بفستان ذهبي بديع تبتسم في سعادة وهي تمد يدها له وتقول في غنج:

- ترقص معايا؟

توجهت سِحر إلى غرفة حبيب أولًا بلا تفكير، فتحت



له الباب ليغيبا سويًا في حِضنٍ طويل انتظراه لسنوات طويلة، يحتضن الشابة التي عشقها والتي ضحى بهويته وحريته لأجلها، وتحتضن الوسيم الذي ضحت بالعالم والحياة لأجله. طلبت منه أن يذهب ويحضر سيارته، وينتظرها على الجانب الآخر من الفندق بعد دقائق، لم يفهم حبيب كيف تفعل هي ذلك لتبدأ تساؤلاته عن المحقق ورجال الشرطة، إلا أنها ابتسمت وطلبت منه ألا يقلق، ابتسم حبيب بدوره وهز رأسه ليغيب عن نظرها سريعًا متجهًا إلى الشارع.

ثم اتجهت بعدها إلى غرفة بكير، شرع في البكاء فور أن شاهدها، بكير حامل السر الذي كان يعذب نفسه يوميًا لشعوره بأنه غير قادر على مساعدتها، كان يعذب نفسه يوميًا لشعوره بأنه مقيد غير قادر على المساعدة ولا المساندة أبدًا، ناولته خاتمًا من الألماظ كان في يوم من الأيام ملكًا لأمها، ترتديه هي منذ سنوات طويلة، ابتسمت له وهي تشكره على مشاعره التي طالما احترمتها، ظل يردد عبارات الأسف والندم على كونه حقيرًا جبانًا لم يأخذ قرارًا واحدًا ليساعدها، إلا أنها ربتت على كتفه وهي تخبره بأنها تفهم كل ذلك وأنها غفرت له كل شيء.

لم تأبه لتمر حتى من أمام غرفة فل، كانت تراها سِحر الذراع الأيمن للشيطان نفسه، الأقرب إلى قلبها في



الماضي، التي لم تحاول أن تساعدها في يوم من الأيام، بل فضّلت أن تبقى ذليلة لعماد وعيسى من بعده، فلتتعفن تلك الساقطة في غرفتها، شأنها شأن وفيق الذي عاش أبكمًا، فليمت أبكمًا أيضًا، وحتى هذا الحقير عنتر لم تهتم حتى أن ترى مكانه، هو كلب خسيس ودنيء لا يستحق الحياة فقد عاش ما يكفيه وما يستحقه من عمر وسنوات.

بأقدامٍ خائرة، تحركت سِحر لتقف أمام باب غرفة عيسى، وقفت سِحر تحدثه من وراء الباب المغلق بكل ما تبقى لها من قوة:

- ازيك يا ابن عمي!

- سِحر! انتِ طلعتِ ازاي من أوضتك؟!

- قولي انت اللي ازاي هتطلع من أوضتك يا عيسى؟

- هي المفاتيح معاكِ؟ افتحي يا سِحر ويلا نمشي من هنا يا حبيبتي..

- نمشي؟ انت مش هينفع تمشي من هنا يا عيسى..

- ليه؟ كل حاجة ممكن تتصلح، صدقيني يا سِحر!

- انت نسيت يا عيسى كلامك؟ كل غلط لازم يتصلح بطريقة غلط.. هو دا العدل.

تركته يصرخ ويجهر بصياحه المليء بالخوف، وبقدمين



أصابهما الوهن، هرولت سِحر إلى غرفة أمها، وفي حقيبة سفر بدأت في وضع فساتين ومجوهرات دانيلا، تلقي كل ما طالته يدها من متعلقات خاصة بوالدتها كمَن يجمع تاريخ حياته في قبضة يده. وضعت الحقيبة بجوار الباب الأمامي للفندق، ثم دلفت إلى المخزن، ما زالت تتذكر كل ركن في القلب، تحفظه كظهر يدها رغم مرور عمر بأكمله وهي سجينة غرفتها. بدأت في التفتيش عن زجاجات الكحول وكل ما طالته عينيها من صناديق كتب عليها "قابل للاشتعال"، وبدأت بجسدها النحيل الخالي تمامًا من الحياة بسكب محتويات كل وعاء وقارورة على الأرض وعلى الأثاث، وحتى اللوحات التي تحمل صور عائلتها.

عادت إلى المطبخ لتحضر أعواد الكبريت، أداة المشهد الأخير لمسرحيتها البائسة، أشعلت العود وألقته بكل غل وكراهية، وكأن النيران كانت تنتظر تلك اللحظة منذ سنوات طويلة، تنتظر لحظة الاشتعال الأخيرة، تنتظر موت القلب منذ مولده، ثار اللهب صارخًا لتضرم النار في كل ركن من أركان القلب في ثوانٍ.

الصرخات تعلو، الكل يصرخ ولا يفهم، الكل في حالة عدم إدراك، أجساد تتفحم وجلد يُشوى وشفاه تذوب من الحرارة قبل أن تنطق بكلماتها الأخيرة.

بخطوات ثابتة، نظرت سِحر إلى الفندق المشتعل



والنيران تلتهمه بلا هوادة وهي تقف على الجهة الأخرى من الرصيف، تشاهد المبنى الرخامي الأبيض يتحول رويدًا إلى الأسود، تخرج منه رائحة الموت والنهايات، خفتت الصرخات لتعلو بدلًا منها صوت طقطقة النيران معلنة عن انتهائها من وجبتها. رفعت سِحر عينيها إلى إحدى النوافذ، فوجدت طه يحتضن ملك في حبٍ بيّن وبيده الأخرى يلوح لها، وعلى وجهه ملامح الامتنان والراحة التي طالما بحث عنها في سنواته السابقة، بداخل الغرفة المحترقة كانت ملك تنظر إلى حبيبها في اغتباط وقالت وهي تقترب منه:

- مش هتندم على قرارك دا؟

- انتِ الحاجة الوحيدة اللي هختارها في كل حياة وتحت أي ظروف.

في الشارع، وقفت سِحر وانعكاس اللهب ينبعث في عينها الحزينة، عينها تشاهد وتراقب المشهد، يتحرك بصرها بين نوافذ الفندق لترى الجميع مصطفون وكأنهم يودعونها الوداع الأخير، عيسى يرتدي زي الساحر كاملًا، فوق رأسه قبعة فايز كوبرفيلد العزيز، إلى جواره جميلة تنظر إليه في حنان وهي تعدل من وضع غطاء رأسه، أما ملامحه فقد حملت الكثير من البؤس. الست فل إلى جوارها وفيق ينظران إليها في أسفٍ بعيون مكسورة، عنتر كان ينظر حوله غير مستوعب أنه أصبح



الآن من أشباح القلب، في نافذة أخرى وقف السيد ألكسندر يبكي على دمار فندقه، وإلى جانبه زوجته تواسيه، كانت كلما نظرت إلى نافذة ترى وجهًا لشخصٍ ما، ما بين السكان وما بين الضيوف الذي أنهى القلب عليهم. دانيلا كانت هناك بفستان أبيض فضفاض ترقص فوق سطح الفندق في سعادة، بينما يجلس إلى جانبها عماد العلالي وعلى ملامحه كل معاني الموت، فقد مات كثيرًا قبل موتته الأخيرة، وكأنه يستحق أن يموت كل يوم ليغفر ولو قدر ضئيل من ذنبه ولعنته.

في سيارته اللادا العتيقة، جلس حبيب في كرسي السائق ينظر إلى المشهد المهيب للفندق غير مصدق لما يحدث، بينما ينبعث من راديو السيارة صوت وردة وهي تشدو "حبك مفرحني فرحة طير بطيرانه". اقتربت منه سِحر وهي تجر حقيبتها الضخمة مقارنةً بجسدها النحيل لتلقي بها على الكنبة الخلفية، وتدلف بعدها إلى المقعد بجانب حبها الأول والأخير في هذا العالم. قبَّل حبيب يدها وقال مبتسمًا وهو ما زال غير مصدق أنها إلى جانبه:

- تحبي تروحي فين يا حبيبتي؟

- أي مكان.. بس يكون بعيد عن القلب.

كان مزيج صرير سيارات الإسعاف والمطافئ القادمة من بعيد ممتزجة بصوت وردة له أثرٌ مبهج في صدر



سِحر، التي أغلقت عينيها وهي تنعم بالهواء الذي حرمت منه طويلًا. أمسك حبيب يدها فتخلل أوصالها شعور مريح بالأمان. تعلم أنهم وحشين يرفضهم العالم بأسرِه، ولكن، ألا تمتلك الوحوش قلوبًا؟!

تعلم أن القادم من حياتها هو لها ولسعادتها ولتعافيها، لا لشيء آخر، تعلم تمام العلم أن تلك اللحظة المفعمة بالكمال ليست نهاية القصة، هي فقط البداية، البداية التي تمنتها، والبداية التي تستحقها رغم كل شيء. بدأ حبيب في قيادة سيارته في تلك الليلة المحاقة، تنظر له سحر دون أن تترك يده ولو للحظة، تبتسم له بما تبقى بداخلها من حب، تعلم تمام العلم أنها تواجه الحياة بروح مهترئة مع حبيب لم يتجرع من الحياة إلا العلقم. إلا وأنه رغم كل شيء كانت ترى الكمال في تلك اللحظة، صوت وردة كان يغطي على صوت الخوف، وسعادتها ببداية العمر كانت تفوق بمراحل الخوف من مواجهة العالم الذي لم تعرفه طوال حياتها وبدأت في اكتشافه فقط في تلك اللحظة الاستثنائية.

تمت.



بعد مرور شهرين على الحريق..



خلال الشهرين الماضيين، لم تتوقف الصحف والقنوات عن الحديث عما حدث في فندق القلب السعيد. تداولت نشرات الأخبار العديد من المقاطع المصورة للفندق بعد احتراقه بالكامل ودماره، ومقاطع أخرى للجثث المتفحمة التي تم العثور عليها بالداخل، ولكن بلا أي أثر عن هوية أصحاب تلك الجثث.

كان هو يتابع تلك الأخبار باهتمام، حاول الوصول بشتى الطرق إلى طه ليطمئن عليه، إلا أنه فقد الأمل تمامًا بعد العشرات من المحاولات. تذكر حينها سبب ابتعاده عن كل المتاعب والخطر، تذكر أهمية أن يظل في صومعته بعيدًا عن العالم بأسره، والاكتفاء فقط بعائلته الصغيرة. أيام مرت حتى نسيَ الجميع قصة القلب السعيد تمامًا وكأنه لم يكن هناك منذ أكثر من مئة عام.



استيقظ ذات صباح على صوت هاتفه المزعج، يرن مرارًا وتكرارًا، هاتفه لا يتوقف عن الصياح، إلا أنه لم يعد يكترث له كما كان يفعل في الماضي. الهاتف أصبح بالنسبة له مجرد كاميرا أو أداة لسماع الموسيقى ليس أكثر، إلا أن المتصل كان يلح بأعجوبة أثارت غضبه وفضوله.

قام متثاقلا يترنح كالمخمور من فراشه إلى موضع الهاتف في نهاية الغرفة المطلة على الشاطئ مباشرةً، ليجيب هاتفه بتأفف شديد:

- ألو!

- لسه في الساحل؟

- مين معايا؟ وتعرف منين أنا فين؟!

- افتح باب الفيلا، فيه حاجة عشانك.. شوفها وكلمني على الرقم دا.

المكالمة العجيبة جعلته يفيق تمامًا، توجه إلى الباب ليجد صندوقًا بداخله قناع جلدي لوجه أرنب يعرف ملامحه جيدًا، إلى جانبه ورقة صغيرة كتبت بيد عدو قديم. أعاد يونس القناع إلى مكانه ونظر إلى الشاطئ الذي علم جيدًا أنه قد لا يراه مرة أخرى، وأنه عائد لا محالة مرة أخرى إلى كوابيسه، كوابيس قبل النوم.







عن الكاتب..

- كاتب مصري من مواليد الإسكندرية ١٩٩٢.
- تخرج في كلية الإعلام قسم الإذاعة والتلفزيون.
- حاصل على بكالوريوس الإعلام من جامعة Bedfordshire الإنجليزية.
- صدرت له ٦ روايات.
- يعمل في مجال التسويق والإعلانات
- يعمل معدًا للبرامج في قناة ON.
- كتب للتلفزيون " المخبر – راجل و٢ ستات ".
- كتب برامج اونلاين " كراكيب – حواديت نص الليل"
- كتب وأخرج العديد من الإعلانات.
- كتب مقالات في بعض الصحف الإلكترونية.
- تصدرت روايته "كوابيس قبل النوم" قائمة الأكثر مبيعا في مكتبات virgin
- تم محاورته في إذاعة NRJ كواحد من الشخصيات الملهمة في جيل الشباب.

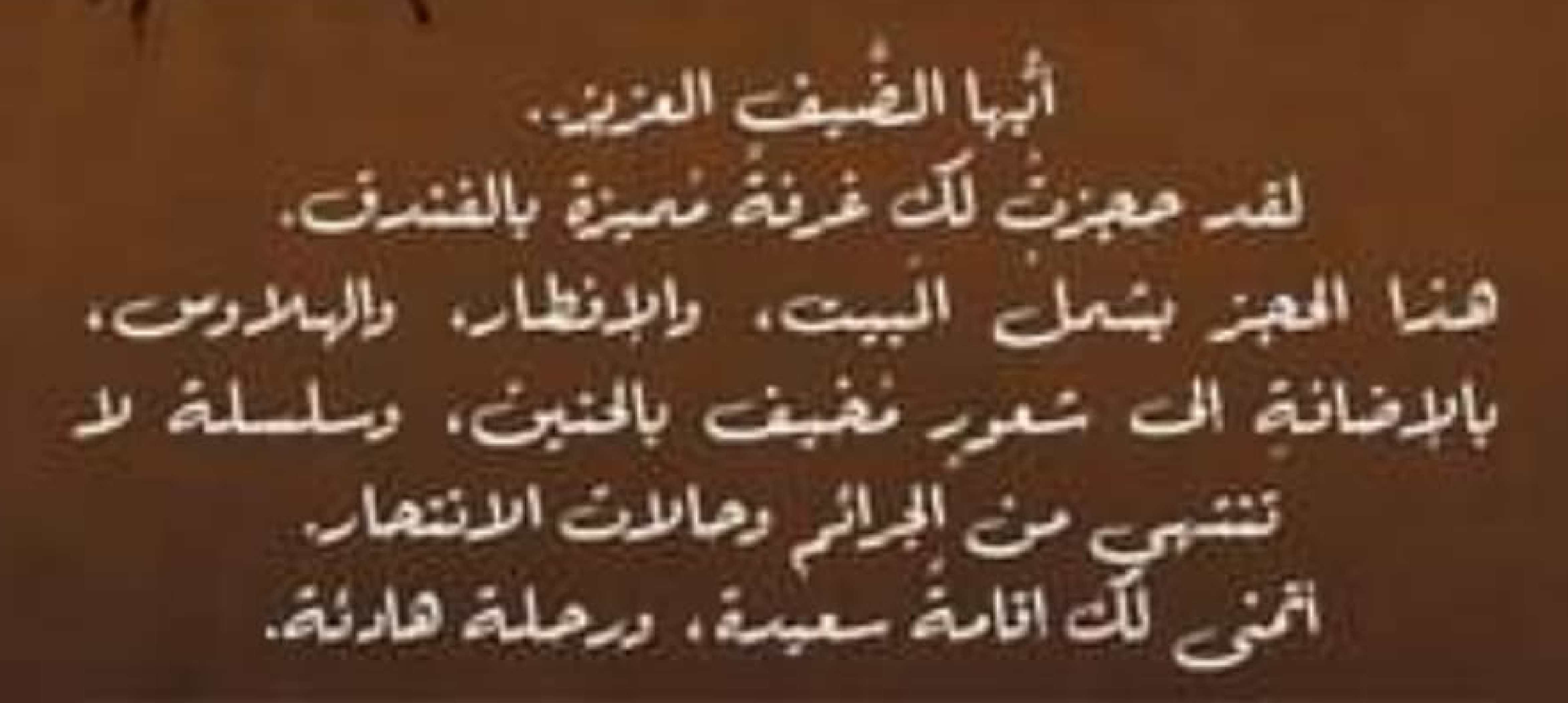


صدر للكاتب..

- حنين اضطراري
- آخر أيام آدم
- زي كل سنة
- كوابيس قبل النوم
- كوابيس قبل النوم ٢
- في حضرة الموت







أيها الضيف العزيز،

لقد حجزتُ لك غرفةً مميزةً بالفندق.

هذا الحجز يشمل المبيت، والإفطار، والهلاوس، بالإضافة إلى شعورٍ مُخيف بالحنين، وسلسلة لا تنتهي من الجرائم وحالات الانتحار.

أتمنى لك اقامةً سعيدة، ورحلة هادئة.



عبد الرحمن حجازي،

كاتب وروائي مصري، يعمل مديرًا ابداعيًا بإحدى شركات التسويق، كما يعمل معدًا للبرامج التلفزيونية. تصدرت معظم أعماله قائمة الأكثر مبيعًا في المكتبات والمعارض الدولية.

غلاف إسلام مجاهد



